جامعة الشهيد حمه لخضر- بالوادي -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية

قواعد الترجيح بالنص القرآني عند الشيخ عبد الرحمن السعدي من خلال كتابيْه : تيسير الكريم الرحمن والقواعد الحسان - دراسة نماذج -

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على : شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص : تفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب : عبد الباسط باباعربي

اللجنة المناقشة

1 - الدكتور : عبد الكريم بوغزالة	**رئيس اللجنة**
2 - الأستاذ : علي خضرة	**مشرفا ومقررا**
3 - الأستاذ : عبد القادر شكيمة	**عضوا مناقشا**

السنة الجامعية : 1435 - 1436هـ / 2014 - 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله على توفيقه لإتمام هذه الرّسالة ، والذي أسأله سبحانه أن يجعلها مباركة ، وأن ينفع بها كاتبها ، وقارئها ، ومصوّرها ، وكل مَن نظر إليها ، ـ آمين ـ .

وعملًا بما رواه أبو داود في سننه ، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبيّ ﷺ قال **<** لاَ يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ الناسَ **>** صحّحه الألباني .

فالشكر لله أوّلا وآخرًا ، ظاهرًا وباطنًا ، والشكر موصول لوالديّ الذيْن كانا سببًا في تعليمي ، وأتقدّم بخالص الشكر إلى فضيلة الأساتذة الأعزّاء ، والمشايخ الفضلاء ، بمختلف مستوياتهم ورتبهم ، وأخصّ منهم بالذكر شيخي وأستاذي الفاضل:**علي خضرّة** ، الذي مَن رآه تذكر تلك البسمة العريضة في وجهه ، والذي تحمّل عناء الإشراف على هذا البحث ، ولم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد ، أسأل الله تعالى أن يوفقه لإتمام رسالة الدّكتوراه ، وأن يبارك له في علمه ، وينفع به كل مَن قرأ على يده ، وأن يفتح له كل الأبواب ، ويسهّل عليه كل الصّعاب ، وأن يجازيه عمّا يقدّمه خير الجزاء ـ آمين ـ .

كما أشكر إدارة الجامعة عامة ، وكلية العلوم الانسانية والاجتماعية خاصّة ، وإدارة شعبة العلوم الإسلامية بالأخصّ ، وكذا عمّال الجامعة قاطبة .

وأنقش شكري بماء من ذهب لأساتذتي الأفاضل : أعضاء لجنة المناقشة على جهدهم الذي بذلوه في قراءة بحثي وتصويبه .

والشكر موصول لجميع الزّملاء ، وخاصّة الزملاء في التّخصّص ، وكل مَن أعانني في إنجاز هذا البحث وشجّعني على إتمامه ، وتقديمه للمناقشة .

سأل الله للجميع أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

ـ آمين ـ

الإهـــــداء

إلهـي لا تطيب الحيـاة إلا بطاعتـك ... ولا تطيب الآخـرة إلا بعفـوك ... ولا يطيب العمـل إلا بتوفيقك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك ، فأعني يا ربّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

الله جل في عليائه وتقدّس في أسمائه وصفاته

إلى مَن علمه ربّه بالقلـم ... إلى مَن أرسله رحمة للعالميـن ... إلى سيّد الأوّلين والآخريـن ... إلى مَـن جعلـه ربّـه هاديًـا مهتديًـا إلى يـوم الدّيـن ... إلى المـبـعـوث لكـافـة الخلـق أجمعيـن .

إلى نبيّنـا وحبيبنـا وقدوتنـا وسيّدنـا **محمّد** ﷺ

إلى مَن كلله الله بالهيبة والوقـار ... إلى مَن أحمل اسمه بكل عز وافتخار ... إلى مَن أوصاني أن العلم هو المختار ... ولا خير في مَن لا علم عنده في هذه الدّار ... أسأل الله أن يبـارك في عمرك لترى ثمارًا قد أينعت فيا نعم تلك الثمار ... والآن قد حان قطافها بعد طول انتظـار ... وستبقى كلماتـك نجومًـا أهتدي بها اليـوم وفي الغـد وإلى الأبـد وفي كل مصر من الأمصار . إلى أبـي العـزيـز والحبـيـب **محمّد الطيّب** ، جعلـك الله مـن الطيّبيـن في الدّاريْـن ، وخـتـم لك

بالحسنى في هذه الدّار ، وحشرك غدًا مع نبيّنا المختار ـ آمين ـ

إلى مَن رافقتني بدعائها طيلة مشواري الدّراسي ... إلى مَن سهـرت طـول الليالي ... إلى مَن وقفت دائمًا بجواري ... إلى مَن كان حِجرها مرقدي ... وكلامها مؤنسي ... وحبّهـا وحنانهـا دفئي ... أسـأل الله أن يبـارك في عمـركِ لتكـوني دومًـا لؤلـؤة أهتـدي بها في ظلمة حياتــي . إلى الجوهرة الثمينة ، إلى أمّي العزيزة والحبيبة **مسعودة** ، أسعدكِ الله في الدّاريْن ، وختم للكِ

بالحسنى في هذه الدّار ، وحشركِ غدًا مع نبيّنا المختار ـ آمين ـ

إلى الذين كنت معهم منذ الصّغر ... إلى مَن تربّيت مثلهم حتى الكبر ... إلى مَن سعدت معهم في حيـاتـي ... أولـئـك هـــــم إخـوتـي وأخـواتـي ... إلى جـمـيـع أزواجـهـم وأبـنـائـهـــم .

إلى مَن يحلو بهم اللقـاء ... وتميّزوا بالصّدق والوفـاء ... ولم يبخلوا أيّ وقت بالعطاء ... إلى مَن برفقتهم في الحياة سرت ... وفي دروب العلم سعدت ... أصدقائي ، وزملائي، ورفقائي.

إلى كل مسلم ومسلمة ، إلى كل صغير وكبير ، إلى جدّتي التي أشرفت على المائة ، أسأل الله أن يبـارك الله في عمرهـا ، إلى عريفـي الصّـادق بن حمـزة الـذي ساعدنـي علـى طباعـة هذا البحث، إلى كل مَن لهـذا الدّين ينتسب ، إلى كل مَن دنت أو علـت بـه الرّتب، أهـدي إليهـم جميعًا باكورة عملي هذا ، سائلا الله تعالى أن يوفق الجميع لِما يحبّه ويرضاه.

مقدّمـــــــة

الحمد لله الـذي حمَد نفسه قبل أن يحمده الحامدون ، الحمد لله الـذي جعل الحمد فاتحة كتابه فقـال : { اِلْـحَمْـدُ ِللهِ رَبِّ اِلْـعَـالَـمِـيـنَ } [الفاتحـة : 1] ، الحمد لله الـذي جعل الحمد خاتمـة عباده المؤمنين فقـال : { وَ اخِـرُ دَعْـويـــهُمْ أَنِ اِلْـحَمْـدُ ِللهِ رَبِّ اِلْـعَـالَـمِـيـنَ } [يونس : 10] ، الحمد لله على كلّ حال ، الحمد لله أوّلًا وآخرًا ، وظاهرًا وباطنًا ، الحمد لله بجميع المحامـد كلها .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريـك لـه الواحد الأحـد ، الفرد الصّمـد ، الـذي لم يلد ولم يولـد ، ولم يكن له كفؤا أحـد ، وأشهد أن سيّدنـا محمّدًا عبد الله ورسولـه صفـوة خلقـه مـن العباد ، وشفيعهم في يوم الميعاد ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المـورود ، صل الله وسلـم وبارك عليه وعلى آله وأصحابـه أولوا الفضل والمكرمـات ، والتابعيـن ومَن تبعهـم بالحسنات ، وسلم تسليمًا كثيرًا ما دامت الأرض والسّماوات .

أمّا بعد :

فإن القرآن الكريـم الـذي هو هدايـة الله العظمى ، ومعجزة نبيّه الكبرى ، أنزلـه على عبـده وحبيبـه وخيـرة خلقـه سيّدنـا محمّد المصطفى ـ ﷺ ـ ، ليخـرج الناس به من الضّلالـة إلى الهداية ، ومن ظلمات الجهل والوهم ، إلى نور العلم والفهم .

ولهـذا فقد كـان ﷺ في حياته خير مثـال ، لِما جـاء به من ربّنا ذي الجلال ، فتأسّوا به من بعده صحابته والآل ، وجاء من بعدهم التابعون ففسّروه وقاموا بالاستشهاد بـه والاستدلال.

ومن المعلوم ، أن كلّ كتاب أو كـلام في علـم من العلـوم ، لا بـدّ من شرح ألفاظـه ، وفهـم معانيه المقصودة والمرادة منه ، ولا شك أن القرآن أولى بذلك من غيره ، ومن هنـا تظهر الحاجـة الماسّة والملحّة لعلـم التفسيـر ، ولا بدّ على جميـع الأمّـة إن لـم أقل كلهـم أن تفهـم معانيه ، إذ يُعدّ أشرف العلـوم وأفضلهـا ، وأحسن الفنـون وأتقنهـا ، فإن الاشتغـال بالعلـوم الاسلامية من أجلّ القربـات ، عند ربّ الأرض والسّماوات ، وإن على رأس هذه العلوم ما تعلق بكتاب الله تعالى ، تعلمًا وتعليمًا ، تأليفًا وتفسيرًا .

ولا عجب أن تَكْثُرَ الدّراسات فيه حتّى لا تحصى ، وأن تفيض القرائح والأقـلام بالمؤلفـات حوله حتى لا تستقصى ، وأن تكتب الأنامل أسراره حتى تكـون شاهـدة يـوم العـرض على الربّ الأعلى .

فهـذا الكتاب لا يمكن أن يستخرج كنوزه وجواهره ، أو أن يستنبط أحكامه وفوائده ، أو أن يذوق طعمه ويتمتع بلآلئه ، إلاّ مَن نهل من شتى العلـوم والفنـون ، وقبلها أن يكون له زاد

من التقوى ، والتي هي العروة الوثقى ، وكذا مراقبة الله في السّرّ والنجوى ، وبهذا تُفتح له ـ بإذن الله ـ كلّ الأبواب في فهم مراد الله ، يقول ربّ العزّة والجلال : **{**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ**}** [البقرة : 282] , وقال أيضًا : **{**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ**}** [القمر: 17] .

ومن هنا ، فلا بدّ أن تكون للمفسّر كليات وقواعد وأصول يرجع ويستند إليها عند تفسير كتاب الله تعالى ، وهي ما تعرف بـ **"** قواعد التّرجيح **"** ، ولا يخفى على كل ذي عقل ما لهذه القواعد من أهمية بالغة في فهم كلام الله تعالى ، حيث نجد طائفة من العلماء أدركوا هذا الأمر جليًا ، واهتمّوا به عمليًا ، فصنفوا فيه مؤلفات ، وطبّقوه في تفاسيرهم .

ومن هؤلاء العلماء ، الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ـ رحمه الله ـ ، الذي له مؤلفات عديدة ، ومن بينها : **" تيسير الكريم الرّحمن في تفسير الكلام المنان "** والذي يعتبر من أحسن الكتب التي ألفت لخدمة كتاب الله تعالى في هذا الزمان ، وكذا **" القواعد الحسان في تفسير القرآن "** الذي جعله ملمًا لتلك القواعد التي طبقها في تفسيره ، لذا جعلت دراستي حول بعض القواعد المتعلقة بالنص القرآني التي ذكرها الشّيخ في الكتاب الثاني ، وتطبيقاتها المأخوذة من الكتاب الأول ، فتقدّمت بهذا البحث من خلال هذين الكتابيْن ، وفيما يلي بعض النقاط التي نتعرف من خلالها على هذا الموضوع .

أولاً : التعريف بالموضوع .

لقد ألف الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي كثيرًا من الكتب في شتى العلوم والفنون ، وإن من أجلّ الكتب التي ألفها خدمة لكتاب الله تعالى في مجال التفسير في هذا الزمان ، هو **" تيسير الكريم الرّحمن في تفسير الكلام المنان "** المعروف بـ : **تفسير السّعدي** ، للعلامة الشيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، فكان تفسيره من أحسن وأدق كتب التفسير في هذا العصر ، هذا ولله الحمد والفضل والمنة أن كتب لهذا التفسير القَبول ، وانتشر في الآفاق ، كما ألف كتابًا جمع فيه القواعد والأصول والكليات التفسيرية سمّاه **" القواعد الحسان في تفسير القرآن "** .

وهذين الكتابيْن هما محل دراستي في هذا البحث لا غير ، وجعلت موضوع بحثي تحت عنوان : **قواعد التّرجيح بالنص القرآني عند الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي من خلال كتابيْه تيسير الكريم الرّحمن و القواعد الحسان ـ دراسة نماذج ـ .**

ثانيًا : إشكالية البحث .

المتأمّل والمدقق في عنوان البحث يجد نفسه أمام مجموعة من الأسئلة ، لا بدّ من الإجابة عنها ، وهذه الأسئلة هي كالآتي :

1 - ما هي تلك القواعد المتعلقة بالنص القرآني عند الشّيخ ـ رحمه الله ـ ؟.

2 - هل كتابه **"** القواعد الحسان في تفسير القرآن **"** يضم إلا القواعد المتعلقة بالنص القرآني ، أم أن هناك قواعد أخرى غير تلك ؟ .

3 - ما هي طريقة تطبيقه لهذه القواعد في تفسيره ومنهجه وأسلوبه فيها ؟ .

كلّ هذه الأسئلة وغيرها سأحاول أن أجد لها أجوبة في ثنايا بحثي هذا ـ بإذن الله تعالى ـ .

ثالثًا : أسباب اختيار هذا الموضوع .

1 - ارتباط هذا الموضوع بأشرف العلوم وأجلها ، وهو تفسير كلام الله تعالى .

2 - الاهتمام بالشخصيات المعاصرة ، والتعرّف على شخصية الشيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي .

3 - عدم وجود ـ في حدود علمي ـ دراسة في الجامعات الجزائرية ، متعلقة بحياة الشّيخ ومنهجه في التفسير ، إلا واحدة فقط .

4 - قلة البحوث الأكاديمية المتعلقة بهذا العلم في الجامعات ، لذلك أردت الإسهام ولو بالقليل في خدمة كتاب الله تعالى من خلال هذا البحث .

5 - إشارة من طرف أستاذي الفاضل : محمّد الصّالح غريسي , بأن تكون رسالتي حول هذا الموضوع .

6 - حسب اطلاعي بين ثنايا صفحات الكتب للشّيخ ـ رحمه الله ـ ، أو التي ألفت حوله ، وجدت من أهل العلم مَن ينصح بقراءة تفسيره ، منها ما ذكره الشّيخ محمد الصّالح العثيمين : فإن تفسير شيخنا عبد الرّحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ المسمّى (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير الكلام المنان) من أحسن التفاسير ، حيث كان له مميزات كثيرة ... ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيّم (1) .

---

(1): تفسير السّعدي ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 11 ، ت/ عبد الرّحمن بن معلاّ اللويحق ، ط 2/ 1434 هـ - 2013 م ط 2/ 1434 هـ - 2013 م ، مؤسّسة الرّسالة ، دمشق ، سوريًا

7 - معرفة المنهج الذي اتبعه الشيخ في كتابيْه ، **تيسير الكريم الرّحمن ، القواعد الحسان.**

8 - أن هذا الموضوع في حدود معرفتي القاصرة لم يدرس من قبل إلا نادرًا .

رابعًا : أهمية البحث .

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية :

1 - دراسة كتاب في التفسير من الكتب المعاصرة ، والتي تزخر بها المكتبة الاسلامية والعربية في الدّراسات القرآنية .

2 - معرفة بعض المقدّمات المتعلقة بالنص القرآني ، والتي يحتاج لها مَن أراد فهم كتاب الله تعالى أو تفسيره .

3 - التدرّب على كيفية تطبيق هذه القواعد على الآيات القرآنية .

4 - تعلقه بأفضل كتاب ، وهو كتاب الله تعالى ، وكذا تعلقه بأفضل العلوم وأشرفها ، وهو علم التفسير .

5 - إثراء المكتبة الجامعية بمثل هذه المواضيع النادرة وخصوصًا المعاصرة .

خامسًا : أهداف البحث .

لهذا البحث أهمية بالغة ، أوجز ذكرها في النقاط الآتية :

1 - المعرفة الكاملة على شخصية هذا العَلم الفذ وسيرته .

2 - التعرّف على كتابيْه : تيسير الكريم الرّحمن والقواعد الحسان ، وبيان منهجه فيهما .

3 - بيان وتحديد القواعد المتعلقة بالنص القرآني .

4 - الاستفادة من هذا البحث ، وذلك من خلال التسهيل على طلبة العلم بصفة خاصة ، أو الباحثين بصفة عامّة ، للبحث والتفتيش عن معلومات محدّدة ودقيقة ومركزة عن عالِم وإمام في التفسير من أمثال عبد الرّحمن السّعدي ـ رحمه الله ـ .

5 - تشجيع طلبة العلم على دراسة موضوع من مثل هذا النسق عند إمام آخر من أئمّة التفسير .

سادسًا : الدّراسات السّابقة .

بعد البحث والتقصّي المتواضع الذي قمت به هنا وهناك ، وجدت بعض البحوث لها صلة بالموضوع الذي أبحث فيه ، أبرزها :

1 - قواعد الترجيح عند المفسرين ، ـ دراسة نظرية تطبيقية ـ ، حسين بن علي بن حسين الحربي ، ط1 / 1417 هـ ـ 1997 م ، دار القاسم ، الرياض .

2 - الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرًا ، عبد الله بن سابح بن صالح الطيّار ، ط1 / 1421 هـ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية .

3 - قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشّيخ عبد الرحمن بن ناصر السّعدي **"** القواعد الحسان , تيسير الكريم الرّحمن **"** ـ نموذجًا ـ ، هشام شوقي ، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة ـ ، 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010 م .

فهذه أهم البحوث التي وجدتها ، والتي لها صلة مباشرة بموضوعي هذا ، وهناك بحوث أخرى تصبّ في نفس الوعاء ، إلا أنها تتفاوت في نسبة الأخذ منها .

سابعًا : منهج البحث .

القارئ لهذا الموضوع سيجد المنهج المتبع فيه هو عدّة مناهج ، كيف ذلك ؟

حيث أن أيّ منهج في موضوع ما ، هو خاضع لعناصر البحث ، وعناصر البحث هنا ليست واحدة ، ممّا يجعلنا أمام العديد من المناهج العلمية فيه ، فالمنهج السّائد في الكلام عن سيرة الشّيخ هو منهج تاريخي ، ويظهر لنا منهجًا آخرًا عند الكلام على الكتابيْن اللذيْن هما محلّ الدّراسة وهو المنهج الوصفي ، وعند الكلام على قواعد التفسير وتطبيقاتها سيظهر لنا المنهج التحليلي .

هذا بالنسبة للمنهج العلمي العام الذي اتبعته في كتابة هذا الموضوع ، أمّا بالنسبة للمنهج التفصيلي المرتبط بتحرير الهوامش و الآيات القرآنية والحديث النبوي و الأعلام والأماكن وغير ذلك ، فسوف أذكرها هنا لكي أسهّل على القارئ معرفة منهجي الذي اتبعته فيها ، وهي كالآتي .

1 ـ الآيات القرآنية : ذكرت تخريجها في متن البحث ، وهذا لكي لا أثقل الهامش بكثرة الكلام ، وذلك بذكر السّورة ثمّ بعدها مباشرة رقم الآية ، إذ أغلب موضوعي يدور حول الآيات القرآنية .

كما أن كتابة الآيات كانت بالحاسوب حرفيًا بيديّ ، متبعًا الرّسم العثماني برواية ورش عن نافع ، لذلك يكون ترقيم الآيات موافقًا له .

2 ـ الأحاديث النبوية : عندما كان بحثي أغلبه حول الآيات ، فإن الأحاديث النبوية جدّ قليلة ، إن لم أقل تكاد تنعدم ، فإني جعلت تخريجها في الهامش ، وذلك بذكر المصنف الذي خرّج الحديث مع المصنف الذي خرّج فيه الحديث ، ثمّ الكتاب ، ثمّ الباب المخرّج فيه ، ثمّ رقم الحديث والجزء والصفحة ، ثمّ ذكر الصحابي الذي روى الحديث ، ثمّ ذكر

الحديث كاملا إن ذكر طرفه أو بعضه في المتن ، وهذا لمعرفته ولتتمّ الفائدة , مع بيان درجة الحديث من أقوال أهل العلم ـ إن وجد ـ .

3 ـ تراجم الأعلام : ترجمت لغالب الأعلام الذين ورد ذكرهم أثناء البحث ، وإذا تكرّر في موضع آخر ، أحيل القارئ إلى الصّفحة الأولى التي ذكرت فيها ترجمته .

4 ـ تراجم الأماكن : ترجمت لأغلب الأماكن التي وردت في متن البحث ، والتي لم أجد لها معلومات أتركها هكذا ، لأن بحثي ليس مخصص لترجمة كلّ شيء .

5 ـ التهميش : أذكر كلّ ما يخص بالكتاب من معلومات للمرّة الأولى ، ثمّ إن تكرّر ذكر الكتاب ، فإني أذكر إلا اسم الكتاب والكاتب فقط ، مع ذكر الجزء والصفحة في الكلّ .

أمّا بالنسبة لترتيب المعلومات في الهامش ، فإني أوّل ما أذكره هو اسم الكتاب ، ثمّ اسم مؤلفه ، ثمّ المحقق ـ إن وجد ـ ، ثمّ الجزء والصفحة ، ثمّ رقم الطبعة مع تاريخها الذي طبع فيه ـ إن وجد ـ ، ثمّ دار النشر أو مكتبة النشر ، ثمّ مكان النشر ـ إن وجد ـ أيضًا .

<u>ثامنًا</u> : المصادر والمراجع .

لقد جاءت مصادر بحثي متنوعة ومختلفة ، والأمر الذي ألزمني ذلك هو طبيعة البحث وعناصره العديدة ، وهذه المصادر والمراجع هي كما يلي :

1 ـ في التفسير : تيسير الكريم الرّحمن في تفسير الكلام المنان ، الجامع لأحكام القرآن , زاد المسير في علم التفسير .

2 ـ في علوم القرآن : الإتقان في علوم القرآن ، علوم القرآن الكريم ، وغيرهما .

3 ـ في الحديث : صحيح البخاري ، الجامع الصّحيح ، وغيرهما .

4 ـ في العقيدة : فتح الرّحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ، وغيره .

5 ـ في الفقه وأصوله : المختارات الجلية من المسائل الفقهية ، وشرح الكوكب المنير ، وغيرهما .

6 ـ في التراجم والسّير : سير أعلام النبلاء ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، وغيرهما .

7 ـ في اللغة : لسان العرب ، تاج العروس من جواهر القاموس ، وغيرهما .

8 ـ كتب في فنون أخرى : التعريفات ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، وغيرهما .

فهذه بعض المراجع التي استعنت بها بعد الله ـ عزّ وجلّ ـ في تتمّة هذا البحث المبارك ، وقد كانت مقدار الأخذ منها متفاوتًا وحسب الحاجة إليها .

تاسعًا : صعوبات البحث .

لقد اعترضتني في مسيرتي أثناء إنجاز هذا البحث بعض العواقب والصّعوبات ، لعلّي أذكر منها ما يلي :

1 ـ أوّل تلك الصّعوبات هو ضيق الوقت ، إذ مثل هذا البحث يتطلب أشهرًا عديدة لإكماله ، ودراسته دراسة شاملة من جميع النواحي ، لذلك تجدني في الفصل الثاني من البحث اقتصرت على بعض النماذج من القواعد المتعلقة بالنص القرآني ، مع التمثيل لها وإعطاء معناها العام ، إذ الدّارس لمثل هذه الموضوع والباحث يشرح القاعدة ويفكك رموزها ، ويعطي أقوال العلماء فيها ويذكر الرّاجح من تلك الأقوال ، إضافة إلى قول المفسّر الذي يدرسه الباحث ، وغيرها كثير .

2 ـ قلة الدّراسات الأكادمية المتعلقة بهذا الموضوع ، ممّا جعلني أجد صعوبة في تقسيم خطة البحث .

3 ـ عدم تحديد بعض المصطلحات والمفاهيم لهذا العلم ، ممّا جعلني أجد صعوبة في أخذ المعلومة من تلك الكتب التي ألفت حول الشيخ ـ رحمه الله ـ .

لكن الحمد لله أولًا وآخرًا ، ظاهرًا وباطنًا , والشّكر له على نعمائه ، وجزيل عطائه ، وكثرة آلائه ، كما أشكره على توفيقه لإتمام هذا البحث ، الذي أسأل الله سبحانه أن ينفعني به ، وينفع به أهل التخصّص خاصّة وجميع المسلمين عامّة ، كما أشكر أستاذي وشيخي الفاضل : **علي خضرّة** ، الذي تحمّل عبء ومشقّة الإشراف على طالب مبتدئ ـ مثلي ـ لازال ينهل ويغترف من معين العلم ، كما أسأله سبحانه أن يجعله منارة علم ينفع به اللاحق من طلبة العلم ، كما نفع به السابق منهم .

وأختم هذه المقدّمة بخطة البحث ، التي هي حوصلة ما في متن الرّسالة ، وهي وفق النقاط الآتية :

عاشرًا : خطة البحث .

جاءت خطة بحثي هذا عمومًا في مقدّمة وفصلين ، أمّا تفاصيلها فهي على النسق الآتي :

1 ـ مقدّمــة : وفيها الثناء على الله ـ عز وجلّ ـ بما هو أهله ، والصّلاة على رسوله ﷺ ، وتوطئة حـول كتاب العليم الخبير ، وكـذا علـم التفسير ، وبعد هـذه المقدّمة العامّـة تطرّقت إلى العناصر الآتية ، وهي :

التعريف بالموضوع وإشكالية البحث وكذا أسباب الاختيار لهذا الموضوع ، وأهمية البحث وأهدافه ، مع ذكـر الدّراسـات السابقـة لـه ، والمنهـج المتبع فيـه ، والمصـادر والمراجـع ، وأيضًا الصّعوبات التي اعترضتني في تحرير الموضوع ، وكـذا الخطة المتبعة .

2 ـ الفصل الأوّل : التعريف بالشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي ، وفيه مبحثين :

***المبحث الأوّل :** الحياة الشّخصية للشّيخ ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأوّل : الاسم الكامل للشّيخ .

المطلب الثاني : الحالة السيّاسية والاجتماعية التي عاشها الشّيخ .

المطلب الثالث : مناقب الشّيخ وآثاره .

المطلب الرّابع : مرض الشّيخ ووفاته .

وكلّ مطلب من هذه المطالب تحته فروع ثانوية .

***المبحث الثاني :** الحياة العلمية للشّيخ ، وفيه أربعة مطالب كذلك :

المطلب الأوّل : بداية تلقيه للعلم وثناء العلماء عليه .

المطلب الثاني : بداية تدريسه ونظرته العلمية .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الرّابع : مؤلفاته وتصانيفه .

وهذه المطالب أيضًا تحتها فروع ثانوية .

3 ـ الفصل الثاني : دراسة الكتابيْن ونماذج من قواعد الترجيح ، وفيه مبحثين أيضًا .

***المبحث الأوّل :** دراسة عامّة للكتابيْن ، وفيه مطلبين :

المطلب الأوّل : دراسة لتيسير الكريم الرّحمن .

المطلب الثاني : دراسة لقواعد الحسان .

وتحت هذين المطلبين فروع ثانوية .

***المبحث الثاني :** تعريفات أساسية ، ونماذج من قواعد الترجيح ، وفيه كذلك مطلبين .

المطلب الأوّل : تعريف قواعد الترجيح بالنص القرآني .

المطلب الثاني : نماذج من قواعد الترجيح بالنص القرآني .

وتحت هذين المطلبين فروع ثانوية كذلك .

4 ـ الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصّلت إليها من خلال هذا البحث ، إضافة إلى أهم التوصيات الهامّة .

5 ـ قائمة المصادر والمراجع .

6 ـ الفهارس :

*فهرس الآيات القرآنية .

*فهرس الأحاديث النبوية .

*فهرس الأعلام المترجم لهم .

*فهرس الأماكن المترجم لها .

*فهرس الموضوعات .

هذا وأسأل الله التوفيق والسّداد ، والتيسير والرّشاد ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ـ آمين ـ .

فيا ربّ يسّر ولا تعسّر ، وأعن يا ميسّر.

الفصل الأوّل :

التّعريف بالشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي

وفيه مبحثان :

المبحث الأوّل : الحياة الشّخصيّة للشّيخ .

المبحث الثاني : الحياة العلميّة للشّيخ .

المبحث الأوّل : الحياة الشّخصيّة للشّيخ .

وسأتطرّق في هذا المبحث إلى جوانب عديدة من حياته الشّخصية ، وذلك من خلال أربعة مطالب ، وهي كالآتي :

المطلب الأوّل : اسم الكامل للشّيخ .

المطلب الثاني : الحالة السّياسية والاجتماعية التي عاشها الشّيخ .

المطلب الثالث : مناقب الشّيخ وآثاره .

المطلب الرّابع : مرضه ووفاته .

فأقول وبالله التّوفيق ، بداية مع المطلب الأوّل .

المطلب الأوّل : اسم الكامل للشّيخ .

الفرع الأوّل : اسمه ، نسبه ، كنيته .

أوّلاً : اسمه .

عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (1) .

ثانياً : نسبه .

أ ـ من جهة أبيه : ينتهي نسب أسرته ـ آل سعدي ـ إلى آل مفيد ، وهذه الأخيرة يرجع أصلها إلى آل حمّاد ، الذين هم من بني العنبر من بني عمرو من قبائل بني تميم الشّهيرة .

ومساكن بعض بني عمرو بن تميم في بلدة قفار(2) ، وقد قدمت أسرة الشّيخ ـ آل سعدي ـ

---

(1): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 218/3 ، ط 1/ 1398 هـ ، دار العاصمة ، المملكة العربية السّعودية ، وترجمة لتسعة من العلماء ، لمحمّد بن إبراهيم الحمد ، ص 225 ، في 1427/2/5 هـ .

(2): هي إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل عاصمة المقاطعة الشّمالية من بلدان نجد .

من بلدة المستجدّة (1) إلى عُنَيْزَة (2) حوالي 1120 هـ (3) .

ب ـ من جهة أمّه : يعود نسبه إلى آل عثيمين الذين هم أخواله ، وهؤلاء هم من آل زاخر، حيث نزح جدّهم (4) إلى عُنَيْزَة (5) فطاب له سُكناها (6) ، واستوطن واستقرّ بها .

ثالثاً : كنيته .

يكنى بأبي عبد الله ، وعبد الله الذي كنيَ به هو أكبر أولاده (7) .

الفرع الثاني : مولده ، عائلته ، نشأته .

أوّلاً : مولده .

ولد الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي بمدينة العنيزة (8) في 12 من محرّم سنة 1307 هـ ، فتوفيت والدته وله من العمر أربع سنوات ، كما توفي والده وله من العمر سبع سنوات (9) .

---

(1): بميم مضمومة وسين مهملة ساكنة وتاء مثنّاة مفتوحة ثمّ جين معجمة مكسورة ثمّ دال مهملة مشددّة مفتوحة ثمّ هاء ، وهي قرية زراعية كبيرة تقع جنوباً من مدينة حايل على بعد مائة وعشرين كيلاً منها تابعة لإمارتها ، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السّعودية عالية نجد ، سعد بن عبد الله بن جُنَيْدل ، القسم الثّالث ، ص 1191 ، طبع سنة 1399 هـ ـ 1979 م ، دار اليمامة ، الرّيّاض ، المملكة العربية السّعودية .

(2) (5) (8): بعين مهملة مضمومة ونون موحدة مفتوحة وياء مثنّاة ساكنة ثمّ زاي معجمة مفتوحة ثمّ هاء ، كأنّه تصغير عنز : وهي هضيبة سويداء صغيرة ، تقع في ضفّة وادي الرّشاءِ الغربية غرب جبل ثهلان ، في بلاد عتيبة التّابعة لإمارة الدّوادمي ، تبعد عن مدينة الدّوادمي غرباً ما يقرب من تسعين كيلاً ، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السّعودية عالية نجد ، سعد بن عبد الله بن جُنَيْدل ، القسم الثّالث ، ص 992 .

(3): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 218/3 .

(4): هو سليمان العثيمين (وفي بعض النّسخ سليمان آل عثيمين) .

(6): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 219/1 ، ط 1/ 1400هـ ـ 1980 م ، مطبعة الحلبي .

(7): الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، لعبد الله بن سابح بن صالح الطّيار ، ص 15 ، ط 1421/1 هـ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السّعودية .

(9): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 219/3 .

ثانياً : عائلته .

أ ـ أبوه : هو ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد بن سعدي من نواصر تميم ، ولد في مدينة عُنيزة (1) سنة 1244 هـ (2) ، وكان عالما واعظا وإماما في مسجد المسوكف (3) ، حيث نشأ صالحًا عابدًا حافظًا للقرآن ، محبًّا للعلم وأهله ، وإن كان لم يبلغ درجة علماء كبارهم (4) ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 1313 هـ (5) ، وقيل في جمادى الآخرة 1314 هـ ، وله من العمر سبعون سنة (6) .

ب ـ أمّه : هي من آلِ عثيمين ، وآلُ عثيمين هم أخوال المترجم له ـ عبد الرّحمن آل سعدي ـ وأخواله من آل مقبل من آل زاخر من الوهبة ، وهم من شقراء ، حيث نزح جدّهم (7) منها إلى عنيزة (8) فطاب له سكناها (9) .

ج ـ إخوته : كان للشّيخ ـ رحمه الله ـ اثنان من الاخوة وهما :

1 ـ حمد : وهو الابن الأكبر في إخوته ، وكان رجلا صالحًا ، ومن حملة القرآن ، ومن المعمّرين ، وكان هو الوصيُّ على أخيه عبد الرّحمن بعد وفاةِ والدِهم ، فقام برعايته وتربيته خير قيام (10) ، وبذلك قد حفِظ وصية والده ، وحافظ عليها خير حفاظ ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 1388 هـ عن ستٍّ وتسعين سنةً (11) ، وبهذا تكون ولادته سنة 1292هـ وكان في حياته قد تجرّد للعبادة والتلاوة (12) ، لا يشغله عنهما شاغل .

---

(1)(8): ينظر ص 3 .

(2): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 337/2 .

(3) (4) (5): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 219/3 ، وترجمة لتسعة من العلماء ، لمحمّد بن إبراهيم الحمد ، ص 225 ، وروضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 219/1 .

(6) (12): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 338/2 .

(7): ينظر ص 3 .

(9) (10): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 219/1 .

(11): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 220/3 .

2 ـ سليمان : وهو أصغر أولاد ناصر بن سعدي ، يعني هذا أنّه أصغر من الشّيخ عبد الرّحمن ، وهذا الأخير هو أوسطهم ، حيث سكن ـ سليمان ـ الجبيل ثمّ الدمّام ، وهو من خيرة زمانه ، توفي ـ رحمه الله ـ سنة 1373 هـ (1) .

ثالثاً : نشأته .

نشأ الشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي في بداية طفولته يتيم الأبوين ، حيث توفيت أمّه سنة 1310 هـ وهو ابن أربع سنوات ، كما توفّي أبوه سنة 1313 هـ وهو ابنٌ لسبع ، وهكذا أراد الله له أن ينشأ منذ صباه يتيم الأبوين .

فلقد أجمع زمام أمره ، وعقد عزيمة قصده ، على أن يوقف حياته على طلب العلم ، وأن يعطي نفسه أمنًا وطمأنينة ، وراحة وسكينة ، خاصّة تصل برباطها الوثيق بينه وبين المهمّة التي أزمع أن يوقف حياته عليها .

وبعد وفاة والديْه كفلته زوجة أبيه وعطفت عليه وأحبّته أكثر من حبّها لأولادها ، فكان عندها موضع العناية ، فلمّا شبّ وقوي عظمه صار في بيت أخيه الأكبر (2) ، فنشأ في بيت أخيه نشأة صالحة كريمة لائقة ، واعتنى به عناية سليمة فائقة ، وكان يجله وينياديه باسم الشّيخ ، وكان الشّيخ عبد الرّحمن يخاطب أخاه باسم الوالد .

وقد أقرّ الله عين حمد ، بأخيه عبد الرّحمن ، حيث رأى أخاه كلّ الأنظار ترنو إليه بعين الإكبار ، وذلك لفضله ، وعلمه ، ومكانته (3) .

وكان الشّيخ عبد الرّحمن ـ رحمه الله ـ معروفاً منذ نشأته بالخير والصّلاح ، والذكاء والنجاح ، والفطنة وحبّ العلم والفلاح .

وكان منذ نعومة أظفاره ، صالحاً مثاراً للإعجاب وأنظار الناس ، محافظاً على الصّلوات الخمس مع الجماعة ، حتّى أنّه ذات مرّة خرج لصلاة الفجر صباح سطوة آل سليم ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، والقصر فيه الرّماة ، والناس كلّهم متحصّنون في منازلهم خوفاً على أنفسهم ، فقابله بعض الناس ، فقال إلى أين تريد ؟ فقال لصلاة الفجر ، فضربه حتّى ألجأه إلى الرّجوع إلى منزله (4) .

---

(1): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 338/2 .

(2) (3): ترجمة لتسعة من العلماء ، لمحمّد بن إبراهيم الحمد ، ص 225 .

(4): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 219/1 .

وهذه النشأة الصّالحة الكريمة عُرف بها منذ صغره ، فأقبل على طلب العلم بجدّ ونشاط ، وهمّة وعزيمة ، فحفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره ، وحفظه عن ظهر قلب وهو في الرّابعة عشرة من عمره (1) وذلك في مدرسة المربّي سليمان بن دامغ .

واشتغل منذ الصّغر بالعلم على يد علماء بلده ، ومن يرد إليها من العلماء ، وانقطع للعلم وجعل كلّ أوقاته مشغولة في تحصيله حفظًا وفهمًا ، ودراسة ومراجعة واستذكارًا ، حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في عمر طويل .

ولمّا رأى زملاؤه تفوّقه عليهم ونبوغه في الدّراسة ، تتلمذوا عليه ، وصاروا يأخذون عنه العلم ، وهو لازال في سنّ البلوغ ، فأصبح في هذا الشّباب المبكر متعلمًا ومعلمًا (2) .

وهكذا نشأ الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي ـ رحمه الله ـ منذ صباه ، في أحضان العلم والعلماء ، محبًّا لهما ، رغم اليتم وفقدان الوَالِدان .

---

(1): مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرّحمن بن عبد اللّطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 292 ، ط 1394/2 هـ ، دار اليمامة .

(2): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 220/3 .

المطلب الثاني : الحالة السّياسية والاجتماعية التي عاشها الشّيخ .

في حياة الإنسان ، هناك عدّة عوامل تؤثر في شخصيته ، ومن تلك العوامل العصر الذي يعيش فيه ، فإنّ له أثر بالغ في تكوينها ، فالمرء يتأثر بما حوله وما يحيط به ، سواء أكانت سياسية أو علمية أو اجتماعية أو ... إلخ .

لذا سأتطرّق للحديث عن العصر الذي عاش فيه الشّيخ ـ رحمه الله ـ باختصار .

الفرع الأوّل : الحالة السّياسية .

إذا تأمّلنا قليلاً في الحياة السّياسية لعصر الشّيخ عبد الرّحمن ، لوجدنا أنه عصر مضطرب بالفتن ، حتى انتشر في أوساط الناس الخوف والهلع ، وبذلك تمزّق شمل الجزيرة العربية.

ففي سنة 1308 هـ كان الشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي لم يتجاوز الثانية من عمره ، فنجد أنّ محمّد بن رشيد (1) حشد قواته من الحاضرة (2) ومن غيرها ، فزحف بهم لقتال أهل القصيم (3) ، وهم قد استعدّوا لملاقاته ، فالتقى الفريقان في موضع يسمّى بالمُلَيْدَا (4) فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكانت الهزيمة أوّلاً على ابن رشيد ، حتى خرج أهل القصيم (5) من أمكانهم ومعاقلهم ، وتبعوا أثر المنهزمين ، ولكن ابن رشيد أعاد الكرّة عليهم ، فانهزموا شرّ الهزيمة ، حتّى قضى عليهم ، وقَتل معظمهم ، واستولى على جميع أسلحتهم ، وأسر

---

(1): وهو أحد أمراء آل رشيد ، وعاصمة إمارتهم مدينة حائل ، وبادية شمر هم العرب المتنقّلون في الصّحراء من قبيلة شمر ، وهو حاكم نجد .

(2): بزيادة الهاء ، وهي قرية بِأَجَاءٍ ذات نخل وطلع ، ويقال لها أَوْرَبَة ، ويطلق هذا الاسم على بليدة من أعمال الجزيرة الخضراء بالأندلس ، ينظر معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 2/ 207 ، 1397 هـ - 1977 م ، دار صادر، بيروت .

(3) (5): القصيم : بالفتح ثمّ الكسر، وهي منطقة صغيرة نسبيّاً تقع في وسط نجد في جنوبي جبل شَمَّر، وتعدّ من المقاطعات النّجدية ويبلغ عدد قُراها نحو 50 قرية ، وفيها مدينتان رئيسيّتان وهما بريدة وعنيزة ، حيث يبلغ عدد سكّانها 70 ألف نسمة ، وهي تابعة إدارياً لإقليم اليمامة ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 1/ 23 - 65 - 67 - 68 - 91 ، معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 4/ 367 .

(4): بإسكان الميم بعد " ال " مع إدغامها فيها ثمّ لام مفتوحة فياء ساكنة فدال مفتوحة فألف ، وهي أرض مستوية واسعة تقع في شمال القصيم غرباً من ناحية الجواء وشمالاً غرباً من مدينة بريدة ، وهي التي حدثت فيها وقعة عظيمة بين محمّد بن عبد الله بن رشيد ومن معه ، وبين أهالي القصيم يرأسهم أمير بريدة (حسن بن مهنّا) ، انتهت في الأخير بهزيمة أهل القصيم ، وبانتصاره تمكّن من القضاء على حكم آل سعود ، وكان تاريخ هذه الواقعة في 13 جمادى الثّانية سنة 1308 هـ ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 6 / 2329 - 2334 .

أمير بُرَيْدَة (1) ، وهو الحسن آل مهنا ، حتى مات في أسره في سجن حَائِلْ (2) .

كان الإمام عبد الرّحمن بن فيصل آل سعود قد خرج من الرّياض لنجدة أهل القصيم (3) ، فلمّا علم بهزيمتهم قبل وصوله إليهم ولى أدراجه ، فلمّا علم محمّد بن رشيد أنّ عبد الرّحمن بن فيصل قد خرج من الرّياض وغادرها ، أرسل حامية من قبله إلى الرّياض فاحتلها ، وأمّر عليها محمّد بن فيصل .

فلمّا علم عبد الرّحمن بذاك الخبر جمع جندًا من بادية العجمان وعاد بهم إلى الرّياض ، لكنه محمّد بن فيصل صدّه عن الدّخول إليها ، فذهب إلى حريملا (4) بعد ما انضمّ إليه نفر من أهل الرّياض ، وكان محمّد بن رشيد لا يزال في القصيم (5) ، فحشد جنده ، وسار بهم مسرعًا إلى حريملا (6) حيث يعسكر عبد الرّحمن بن فيصل ، فهجم بغتة على عبد الرّحمن ومَن معه ، وقتل معظم رجاله ، ففرّ عبد الرحمن منهزمًا بمن سلِم من جنده ، ودخل الرّياض ليلًا ، وأخذ عائلته وذهب إلى جهة الأحساء عند البادية .

وكان في الإحساء المتصرّف عاكف باشا ، فأوعزت إليه الحكومة العثمانية أن يفاوض الأمير السّعودي ـ عبد الرّحمن بن فيصل ـ فبعث عاكف باشا الدّكتور زخور عازار اللبناني الجنسية للمفاوضة ، فاجتمع معه ، وعرض الدّكتور على الإمام عبد الرّحمن بعض الشّروط ، وهي كما ما يلي (7) :

---

(1): تصغير (بردة) وهي اسم لعين ماءٍ لبني ضمينة ، قاعدة الإقليم تقع على الجانب الأيسر من وادي الرمّة يسكنها نحو 35 ألف نسمة ، معظمهم من بني تميم وهي على مسافة 18 ميلاً من عنيزة ، تقع على مرتفع رملي ، وهي من أكبر المدن النّجدية ، وتسمّى بأم القصيم ، وهي عاصمتها منذ أن عرفت مدينة القصيم التّنظيم الإداري ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 2/ 570 - 571 .

(2): بحاءٍ مهملة بعدها ألف ثمّ همزة بعدها لام ، وهي موضع بين أرض اليمامة وبلاد باهلة ، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السّعودية عالية نجد ، سعد بن عبد الله بن جُنَيْدل ، القسم الأوّل ، ص 357 ، معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 2/ 210 .

(3) (5): ينظر ص 7 .

(4) (6): بحاءٍ مهملة بعدها راءٌ مهملة ثمّ ياءٌ مثنّاة بعدها لام ثمّ ألف ، وهي تابعة لإمارة القويعية ، وتقع غرباً جنوبيا من بلدة القويعية على بعد مائتين وثلاثين كيلاً ، ينظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السّعودية عالية نجد ، سعد بن عبد الله بن جُنَيْدل ، القسم الأوّل ، ص 370 - 371 .

(7): الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، لعبد الله بن سابح بن صالح الطّيار ، ص 18 - 19 .

1 ـ أن يكون الأمير على الرّياض .

2 ـ أن يكون تحت ولاية الحكومة العثمانية وحمايتها .

3 ـ لا يتولى الإمارة إلا بعد اعترافه بسيادة الباب العالي .

4 ـ إذا اعترف بسيادة الباب العالي ، وجب عليه أن يدفع ستة آلاف ريال سنويًا إعلانًا للخضوع والاعتراف .

5 ـ تتعهّد الدّولة العثمانية بحمايته وإعطائه المال والسّلاح ، وأن يكون الإمام عبد الرّحمن قائم مقام لها في الأحساء .

ولكنه رفض هذه الشّروط ، إذ رأى من الهون الخضوع لتركيا ، وأن يقبل المساعدة التي تقيّده وتقيّد بلاده فغادر الأحساء إلى الكويت ، لكن حاكمها محمّد الصّباح لم يأذن له بالدّخول ، فتوجّه إلى قطر فسكنها شهرين ، ثمّ إنّ أمير الكويت سمح له أن يقيم في بلاده ، فأقام في الكويت أحد عشر عامًا ضيفًا عزيزًا مع عائلته ، ومنهم ابنه عبد العزيز، وانتهى آل سعود من الحكم الذي خسروه ، وصاروا مطاردين ، أو لاجئين في بلد غير بلدهم ينتظرون يوما ما العودة إلى أرض وطنهم ، واستعادة الحكم الذي انتزع منهم .

وفي عام 1315 هـ توفي محمّد بن رشيد ، وخلَفه في الحكم ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد ، وكان جبّارًا عتيًّا ظالمًا مستبدًّا ، لا يعرف غير إراقة الدّماء ، ومصادرة الأموال ، والتدمير والبطش ، ونقد العهود ، فقد أرهق أهل نجد بالقتل والجور وابتزاز الأموال وهتك الأعراض ، فسئموا حكمه ، وخضعوا له كرهًا لا حبًّا .

ففي عام 1318 هـ دخل بريدة (1) ، وصادر أموالًا من أهلها ، ونقل أميره في الرّياض وجعله في بريدة (2) ، وعيّن في الرّياض عجلان بن محمّد ، وجعل فهيد السّبهان أميراً على عنيزة (3) .

أمّا هو : فقد ذهب إلى العراق ، وشرع في التّفاوض مع الأتراك من أولياء الأمر فيها ، علّه يحصل على مساعدتهم في الاستيلاء على الكويت ، فرأى عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود أنّ الفرصة سنحت له لاحتلال الرّياض ، التي هي عاصمة آبائه وأجداده ، (4)

---

(1) (2): ينظر ص 8 .

(3): ينظر ص 3 .

(4): المرجع السّابق ، ص 19 ـ 20 .

لكون ابن رشيد بعيدًا عنها ، كما أنّ الشّيخ مبارك الصّباح أمير الكويت أراد أن يشغل عدوّه عبد العزيز بن متعب بن رشيد عن مفاوضة الأتراك ، فشرع يشجع عبد العزيز ، ويبذل له المساعدة في سبيل هذا الغرض ، فخرج عبد العزيز من الكويت ، ومعه أربعون رجلًا ، فقصد جهة الأحساء ، فالتفّ حوله كثيرًا من أهلها ، فسار بهم إلى نجد (1) ، وشنّ الغارة على عرب قحطان الموالين لابن رشيد ، واستمرّ في شنّ الغارات ولم يتوقف .

فلمّا رأى ابن رشيد انتصارات عبد العزيز على التابعين له ، أرسل إلى شيخ قطر (2) يستنهضه على هذا العدوّ الجديد وكتب إلى والي بغداد ومتصرّف البصرة يطلب منهما أن يوعز لحكمه الأحساء بطرده من تلك الجهة ، فلمّا علمت البادية التي كانت مع عبد العزيز بما عمله ابن رشيد ، تفرّقوا عنه وتركوه ، ولم يبق معه غير الأربعين ، الذين خرجوا معه من الكويت ، فكتب له والده عبد الرّحمن ، والشّيخ مبارك الصّباح يأمرانه بالرّجوع إلى الكويت ، فأبى ، وأصرّ على البقاء واسترداد ملك آبائه وأجداده ، أو يموت دون ذلك ، وعندما اشتدّ عليه ضغط حكومة الأحساء ، نزح من تلك الجهة ، وقصد يبرين، وصام فيها رمضان عام 1319 هـ ، وفي اليوم الخامس من شهر شوال وصل مدينة الرّياض ، ومعه الأربعون رجلًا الذين خرج بهم من الكويت ، واستعاد عاصمة ملك آبائه وأجداده (الرّياض) من عامل عبد العزيزبن متعب بن رشيد ، بعد معركة داخل القصر ، قتل فيها الأمير عجلان بن محمّد ، وبعد انتهاء المعركة بانتصار عبد العزيز خرج أهل الرّياض من بيوتهم يرحّبون بعبد العزيز ، ويبذلون ما في وسعهم لمساعدته .

وبعد أن تمّ لعبد العزيز الاستيلاء على الرّياض ، شرع في بناء سور المدينة المحيط بها ، فقد سبق أن هدمه محمّد بن رشيد سنة 1308 هـ ، ثمّ بعد ذلك دارت بين ابن سعود وابن رشيد مناوشات في الجنوب والشّمال ، كان النصر فيها حليف ابن سعود ، إذ دخلت أغلب مدن الجنوب (3) في طاعة عبد العزيز بن سعود (4) .

---

(1): هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشّام ، ينظر معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 5/ 262 .

(2): هو قاسم بن ثاني .

(3): وهي : الخرج ـ الدلم ـ الأفلاج ـ وادي الدّواسر .

(4): المرجع السّابق ، ص 19 - 20 .

ثـمّ إنّ عبد العزيز بن سعود أراد أن يسترد القصيم (1) ، فكـتب وهو على جُلاجِلُ (2) ، إلـى مبارك الصّباح يطلب منه أن يرسل إليه مَن كان عنده من أهـل القصيم ، ممّـن نـزحوا عـن القصيم (3) حينما استولى عليها ابن رشيد ، وطغى عليهم بالظلم والجـور ، فأرسلهم مبـارك ومعهم مائتا مقاتل ، فأمر عبد العزيز آل سليم في الهجوم عـلـى عُنيزة (4) ، ليشغلـوا عامل ابن رشيد فهيد السّبهان ، فهجموا عليه وقتلوه ، ثمّ أمدّهم عبد العزيز بسرية يقودها عبد الله بن جلوى ، فلمّا علم جنود ابن رشيد بقدوم ابن جلوى سُلمت المدينة في الحال لآل سليم .

وبعد استرداد عنيزة (5) ، رحل عبد العزيز منها ، بعد أن ثبّت في أمارتها عبد الله السّليـم ، وقصد بريدة (6) ، فدخلها بلا مقاومة من أهلها ، أمّا حامية ابن رشيد فقد تحصّنت في قصر بريدة ، وظلت الحامية تقاوم عبد العزيز مـدّة ثلاثة أشهـر ، حتى نفذ ما لديهـم من الـزّاد ، فاضطروا إلى المفاوضة والتسليم ، فأمّنهم عبد العزيز على أرواحهم وسلاحهم ، ثمّ رحّلهم على رواحل من عنده ، وكان ذلك في سنة 1321 هـ .

أمّا ابن رشيد فقد جهّـز جـنـده ، فـزحف بهـم قاصـدًا القصيـم (7) ، وعند وصولـه إلـى بلـدة قصيباء قابلته حاميته ، التي أخرجهـا عبد العزيـز من بريـدة (8) ، فـأخبروه أنّ عبد العزيز استولى على بريدة (9) فتوقف في زحفه .

أمّـا الحكومـة التركيـة فـي العـراق فقد أدركـهـا الخـوف من عبـد العزيـز وامتـداد نفـوذه ، خصوصًـا بعـد استـرداده للقصيـم (10) ، فأمـدّت ابأن رشيـد بشـيء من المـال والـذخيـــرة والأسلحة ، فالتقى جيش ابن رشيـد مع جيش عبد العزيـز في البكيرية (11) ، فكانت خسارة ابن رشيـد كبـيـرة ، إذ قُـتـل كثـيـر من عساكـر الـترك ، وكـان ذلك سنة 1322هـ ، ورغـم الخسائـر التي لحقت بابن رشيد ، فإنه ظلّ في مركزه ثابتًا في البكيرية (12) (13) .

---

(1) (3) (7) (10): ينظر ص 7 .

(2): بالضّمّ ، وكسر الثّانية ، ويـروى بفتح الأولى ، وقال الأزهري : جلاجل جبل من جبال الدّهناءِ ، ينظر معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 2/ 149 .

(4) (5): ينظر ص 3 .

(6) (8) (9): ينظر ص 8 .

(11) (12): بإسكان الباءِ بعد (ال) فكاف مفتوحة فباء ساكنة فراء مكسورة فيـاء مشـدّدة فتاء مربوطة آخره ، وهي إحدى المدن الرّئيسية في منطقة القصيم ، حيث تبعد عن بريدة 25 كيلا ، واسمها منسوب إلى البكيري وهو شخص اسمه محمّـد البكيري كـان يملكها فباعها ولم يبق أحد من أسرته في البكيرية ، وكان قد ابتدأ عمارتها ثمّ باعها في القرن الثّانـي عشـر لـقوم من أهالي الضّلفعة من سبيع ، ويقول بعض أهلها : إنّ ثمنها لم يكن ذهبا ولا فضّة ، ولكنّه مقدار من القمح والشّعير ، ينظر معجم بلاد القصيـم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 2/ 620 - 621 .

(13): المرجع السّابق ، ص 21 .

وفي هذه الأثناء حصلت مناوشات بين جيش ابن رشيد وجيش ابن سعود ، وفي نهايتها استعاد فيها الملك عبد العزيز البكيرية ، فأقام ابن رشيد بجنوده في الشْنَانَة (1) ، وعبد العزيز بن سعود في الرَّسّ (2) .

ثمّ إنّ ابن رشيد بعد هذه المعارك أرسل يستنجد الترك في العراق للمرّة الثانية ، فأرسلوا إليه إعانات أخرى ، والمدينة إذ ذاك بقيادة المشير أحمد فيضي ، والفريق صدقي باشا ، وعسكروا في الشِّيْحِيَّة (3) .

لم تكن الدّولة العثمانية هذه المرّة تريد الحرب ، مع عبد العزيز ، ولكنها رغبت المفاوضة من أجل السّلم ، وأرسلت هذه القوّة لتعزيز جانبها ، فأرسلت إلى عبد العزيز ترغب في المفاوضة ، وتطلب مقابلة والده عبد الرّحمن بن فيصل مع والي البصرة ، وحدّدت المكان في بلد الزَّبِيرُ(4) ، فأجاب عبد العزيز الطلب وسافر عبد الرّحمن من الرّياض إلى بلد الزَّبِيرُ(5) ، وبعد مقابلة والي البصرة ، طلب الوالي من عبد الرّحمن ما يلي :

1 ـ أن تكون منطقة القصيم (6) على الحياد ، أي مستقلة حاجزة بين ابن سعود وابن رشيد.

2 ـ أن يكون للدّولة العثمانية مركزان عسكريان،الأوّل في بريدة (7) والثاني في عنيزة(8)(9)

---

(1): بإسكان الشّين المشدّدة ، فنون مفتوحة ، فألف ثمّ نون ثانية فهاء ، وسمّيت بذلك نسبة إلى (الشنان) وهو شجر من شجر الحمض ينبت في هذه المنطقة بكثرة ، وتقع على الضّفّة الجنوبية لوادي الرُّمَة على بعد حوالي 6 أكيال منه ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 3/ 1289 .

(2): بفتح الرّاءِ المشدّدة فسين مشدّدة أيضا ، وهي مدينة رئيسيّة من مدن القصيم بل هي المدينة الثّالثة في القصيم كلّه بعد بريدة وعنيزة ، وأوّل من سكن الرّسّ (آل صُقيهُ) من بني تميم في حدود المائة التّاسعة من الهجرة ، وتقع في الجنوبي الغربي من القصيم على بعد 50 ميلا من بريدة ، وعلى بعد 40 ميلا من عنيزة ، ويبلغ عدد سكّانها 4000 نفس ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 3/ 1023 - 1026 - 1041 .

(3): بتشديد الشّين وكسرها فياء أولى ساكنة فحاء مكسورة فياء ثانية مشدّدة فهاء ، وهي قرية زراعية في الجهة الشّمالية الغربية لمدينة بريدة على بعد 47 كيلا ، وسمّيت بذلك لأنّها كانت في الأصل روضة تنبت الشِّيح ، وكانت قديما تسمّى (روضة الشِّيح) ، ينظر معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ، 3/ 1296 - 1297 .

(4) (5): بفتح أوّله ، وكسر ثانيه ثمّ ياء مثنّاة من تحت ، وآخره راء مهملة ، وهو اسم موضع آخر في البادية قرب الثعلبية ، ينظر معجم البلدان ، لشهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 3/ 132 .

(6): ينظر ص 7 .

(7): ينظر ص 8 .

(8): ينظر ص 3 .

(9): المرجع السّابق , ص 22 .

3 - أن يكون في كلّ مركز مستشاراً من قِبل الأتراك .

فرفض عبد الرّحمن هذا الطلب ولم يقبله ، لكنّه وعد بعرضه على أهل نجد ، وعندما بلغ عبد العزيز رفضه رفضًا باتّا ، مع رفض أهل القصيم له أيضًا ، صمّم أهل القصيم على مقاومة الأتراك ، فلمّا علم الأتراك بذلك ، أرسلوا لعبد العزيز وطلبوا منه أن يرسل أباه عبد الرّحمن للمفاوضة ، ويوافيهم في عنيزة (1) ، فأجاب عبد العزيز ، وجاء عبد الرّحمن من الرّياض قاصدًا عنيزة (2) ، وجاء المشير أحمد فيضي ودخل أيضًا عنيزة (3) ، واجتمع مع عبد الرّحمن ، وبعد المقابلة طلب المشير أن يكون للدّولة مركزان عسكريان ، أحدهما في بريدة (4) ، والثاني في عنيزة (5) ، وذلك بصفة مؤقتة ، حتى تتمّ مفاوضات الصّلح بين ابن رشيد وابن سعود ، ولكنّ أهل القصيم رفضوا هذا الطلب بالإجماع ، إلا صالح بن حسن المهنا وأتباعه من بني عمومته وهم أمراء بريدة ، وفي أثناء هذه المفاوضات التي جرت في عنيزة (6) ، سارت في أهل القصيم روح الشقاق والفوضى ، لأنّ فريقًا منهم يطلبون الاستقلال وحماية الدّولة العثمانية لهم ، والأقلية منهم مع ابن رشيد .

ثمّ حصلت مناوشات بين جيش ابن رشيد وجيش ابن سعود ، انتهت في معركة حامية بمكان يسمّى رَوْضَة مْهَنا (7) ، انهزم فيها جيش ابن رشيد ، وكان ذلك في شهر صفر سنة 1324 هـ .

وكانت الدّولة العثمانية غير راضية عن صدقي باشا وعساكر الترك ، حيث قام بإرسال المال لبعض البوادي ، فأرسلت قائدًا من جيشها وأمرته بالتوجّه من المدينة إلى حائل (8) ، فحضر واجتمع بأمير حائل ، واتّفق معه على أن تكون القصيم في حوزة الدّولة ، ثمّ جاء ذاك القائد المرسول ليفاوض ابن سعود ، فعزل هذا صدقي عن قيادة الجيش ، وتولّاها بنفسه , ثمّ أرسل لابن سعود يطلب مقابلته في البكيرية (9) ، فقبل عبد العزيز وتوجّه إلى البكيرية (10) ، فدارت مفاوضات بينهما ، وكان الاتفاق في الأخير على ما يلي (11) :

---

(1) (2) (3) (5) (6): ينظر ص 3 .

(4) (8): ينظر ص 8 .

(7): بإسكان الميم وفتح الهاء فنون مشدّدة فألف , وتنسب هذه الرّوضة إلى مهنّا بن صالح أمير بريدة وتوابعها من القصيم , وهو أول منّ حاول إحداث عمارة فيها , وهي روضة كبيرة تقع في شرق منطقة القصيم , وتبعد عن الربيعية بسافة 15 كيلا , ينظر معجم بلاد القصيم , محمّد بن ناصر العبّودي , 3/ 1072 - 1073 .

(9) (10): ينظر ص 11 .

(11): المرجع السّابق , ص 22 - 23 - 24 .

يقوم عبد العزيز بترحيل الجيش التركي المرسل من العراق إلى العراق ، والمرسل من المدينة إلى المدينة ، على أن يرسل هذا الأخير إلى المدينة ، ويبقى الأوّل عنده إلى غاية وصول جيش المدينة إلى المدينة ، ثمّ بعد ذلك يقوم بترحيل الأوّل إلى العراق .

وبهذا يكون عبد العزيز بن سعود قد استردّ واستعاد القصيم (1) إلى ولايته (2) .

فهذه مجمل لأهم الأحداث السّياسية في منطقة القصيم (3) ، والتي عايشها الشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي ، في عصر طفولته ، وبعضًا من عصر شبابه ، وهي كما ترى حوادث مفزعة وساخنة ، وجوٌّ مليئٌ بالفوضى والمفاوضات ، والحروب الطاحنة والمشاحنات ، والمعارك والمناوشات ، والتي تكاد ألّا تخمد البتة .

الفرع الثّاني : الحالة الاجتماعية .

نشأ الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي أوّل ما نشأ في أسرة حالها ضعيف من الناحية الاجتماعية ، حيث تربّى في أسرة فقيرة لا تملك كثيرًا من المال ، وقد توفي والده وعمره آنذاك سبع سنوات ، وقد أوصى قبل وفاته بكفالته لأخيه الأكبر حمد بن ناصر السّعدي ، فقام برعايته وحسن تربيته خير قيام .

وقد كان أخيه يعمل في ميدان ومجال التجارة ، فكان يكفي أخيه مؤونة ومرارة العيش ، ويدفعه ويحفّزه على الذّهاب والالتحاق إلى مقاعد العلم ، وأن يكون مواظبا على حضور حلقاته (4) .

---

(1) (3): ينظر ص 7 .

(2): المرجع السّابق بتصرّف , ص 23 - 24 .

(4): المرجع السّابق بتصرّف , ص 35 .

إلاّ أننا نجد أنّ علامات الزّهد والتقشّف بدت باكرة في حياة الشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي ، بمجرّد انضمامه في حلقات العلم ، إذ لم يفكر في عرض من أعراض الدّنيا وزخرفها ، ومن المعلوم قديمًا وحديثًا أنّ الميسورين من أهل الفضل ، والذين بسط الله لهم في أرزاقهم أنهم ينفقون على طلبة العلم ، ويرصدون بعض الجوائز في المناسبات تشجيعًا وتحفيزًا لهم على العلم وتحصيله ، لاسيما وشيخنا كان له أخ لأمّه (1) له ثروة لا بأس بها، فقد سكن .

الهند وذلك لسبب التّجارة ، ثمّ انتقل بعدها متوجّهًا نحو الكويت ، وكان يرسل لأخيه (2) الأموال والثروة لكي يوزّعها على الفقراء وطلبة العلم ، فلعله كان يخصّ أخاه الشّيخ بشيء من ذلك .

ثمّ لمّا كبر أولاده وخاصّة ابنه الأكبر عبد الله ، اشتغل هو أيضًا بالتجارة تبعًا لمهنة والده ، فأغناه الله من المال ـ ما شاء الله ـ فكان يغدق على أبيه ، ممّا هيّأ للشّيخ جوًّا ملائمًا ومناسبًا للعلم والتعليم ، مع هذا كله كان ـ رحمه الله ـ يميل في طعامه ولباسه إلى التقشّف والورع ، زاهدا في دنياه ، معرضا عن مفاتنها ، مسبّلا نفسه للعلم والتفرّغ له ، طلبًا وتدريسًا ، حتى أنّ المخصّصات والعطايا التي كان يتقاضاها ، لقاء قيامه بإمامة الجامع يرصدها جوائز لطلبة العلم ، وخاصّة لطلّابه حينما كان جالسًا للتدريس والتعليم (3) .

---

(1): وهو حمد ابن عبد الله القاضي .

(2): وهو الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي .

(3): المرجع السّابق ، بتصرّف ص 35 .

المطلب الثّالث : مناقب الشّيخ وآثاره .

الفرع الأوّل : مناقبه وأخلاقه .

لقد عاش الشّيخ ـ رحمه الله ـ حياة سعيدة ، وتكمن تلك السّعادة في الأخلاق التي تميّز بها عن من سواه ، فقد سَمَا بأخلاقه سُموًّا رفيعًا ، وارتقى بفضائله ارتقاءً بليغًا ، يشهد له كلّ مَن عاشره وجلس إليه ، سواء من بعيد أو قريب ، أو صغير أو كبير .

فحياته كلها مليئة بالزّهد والورع والتواضع والصّدق في الحديث ولِين الجانب للآخرين من بني جنسه ، كما أنه كان جريئًا في قول الحقّ ولا يخش في الله لومة لائم .

كما تميّز الشّيخ ـ رحمه الله ـ بطريقته في الإلقاء ، والتي جذبت إليه كثيرًا من الناس ، إذ كانوا يتوافدون إليه من كلّ حدب وصوب ، وقد حباه الله سرعة الحفظ ، وقوّة في الذّكاء، وهذه الصّفة الحسنة امتاز بها في حياته كلّها .

فأخلاقه أرقّ من النسيم ، وأعذب من السّلسبيل ، لايعاتب مَن خالفه في الرّأي ، ولا يؤاخذ مَن أخطأ معه ، بل يُدلي برأيه ومشورته بلسان صدق ، ويقابل بالحسنى ، ويعطِفُ على المسكين والفقير ، والضّعيف وذا الحاجة .

ومهما أردت أن أعدِّد أخلاقه ومناقبه ، وفضائله ومحاسنه ، التي تحلى بها في حياته ، فلن أَوفي حقه ، ومهما قلت فيه فإني مقصّر وقلمي عاجز عن الكلام فيه .

وها أنا ذا ، سوف أفصّل ما أجملته ـ بإذن الله تعالى ـ في هذه المقدّمة على النحو الآتي .

أوّلاً : زهده .

كان ـ رحمه الله ـ زاهدًا في دنياه ، راغبًا في ما عند الله ، فنجده قد فرّغ قلبه عن جميع ما يشغله عن الله ، ويبعده عن رضا مولاه ، وهذه هي حقيقة الزّهد ، بل لا يكفي هذا حتى يمتلأ القلب بالأفكار النافعة ، والأعمال الصّادقة ، ويصفو عن كلّ ما سِوى الله ، وهذا ليستنير بنور الإيمان ، ويكون العبد قريبًا من الرّحيم الرّحمن ، وذلك بالتدبّر ما في القرآن، والتزام ذكر المِلِكِ المنان ، مع حضور القلب والتفكر والإحسان ، والخوف من الوقوع في الزّلل والعصيان ، وكذا التأمّل في كلّ ما يحيط بالإنسان ، وتنزيه الله عن جميع العيوب والنقصان ، والتذكر في يوم القيامة وأهواله ، ومن قبله القبر وأحواله ، وجملة القول أن يعمل الإنسان ما يرضي الله ورسوله وينفعه في الحال والمآل ، ويجتنب ما لا يرضيهما ويكون عليه يوم القيامة وبال .

هذا ما نجده في حياة الشّيخ ـ رحمه الله ـ فكان معرضًا عن الدّنيا ومفاتنها ، وزهرة الحياة وزخارفها ، فقد أتته الدّنيا تطلبه ، لكنه ترفع عنها ، وناهيك عن ذلك ، أنه عرضت عليه المناصب مرارًا وتكرارًا ، فأبى ورفض أن تعطى له مرتبات شهرية لقاء عمله ، زيادة على هذا أنه آثر الكفاف ، والعيش في هذه الحياة على العفاف .

ومن صور زهده ـ رحمه الله ـ أنه جاءه تعيين على أن يكون مشرفًا على المعهد العلمي بعنيزة (1) عام 1373 هـ ، وقد حدّدوا له راتب شهري قدّر بألف ريال ، وهو مبلغ معتبر آنذاك ، ولكنه ـ رحمه الله ـ أرسل إلى رئاسة المعهد العلمي بأنه مستعدٌّ للإشراف على المعهد حِسبة لوجه الله ، وأنه لا يريد مالًا من وراء ذلك ، ورضيت الرّئاسة وقبلت بهذا الطّلب من قِبل الشّيخ ، شاكرة له على هذا الصّنيع الذي لا يصدر إلاّ من عالم زاهدًا في دنياه ، راغباً في ما عند الله .

ومن صور زهده أيضًا ، أنه وقت الحصاد يأتيه من ثمار النخيل والحبوب التي أوقفها أصحابها لله ، فيوزّعها جميعها على الضّعفاء من الناس ولا يأخذ منها شيئًا .

فكلُّ ما سبق ، يدلّ على تقشّف الشّيخ ـ رحمه الله ـ وزهده في هذه الحياة ، ليلقى ربّه عفيف النفس بعد الممات .

ثانيًا : ورعه .

قال ـ رحمه الله ـ عند شرحه لحديث النبيّ ﷺ : **<** وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ **>** (2) فهذا حدّ جامع للورع بيّن به رسول الله ﷺ أنّ الورع الحقيقي ، هو الذي يكفّ نفسه ، وقلبه ولسانه ، وجميع جوارحه عن الأمور المحرّمة الضّارّة ، فكلّ ما قاله أهل العلم في تفسير الورع ، فإنّه يرجع إلى هذا التفسير الواضح الجامع .

فمن حفظ قلبه عن الشّكوك والشّبهات ، وعن الشّهوات المحرّمة والغلّ والحقد ، وعن سائر مساوئ الأخلاق ، وحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب والشّتم ، وعن كلّ إثم وأذى ، وكلام محرّم ، وحفظ فرجه وبصره عن الحرام ، وحفظ بطنه عن أكل الحرام ، وجوارحه

---

(1): ينظر ص 3 .

(2): رواه البيهقي في شعب الإيمان ، باب حسن الخلق ، رقم 8031 , 246/6 ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الزّهد ، باب الورع والتقوى ، رقم 4218 ، 1410/2 ، كلاهما عن أبي ذرّ الغفاري ـ رضي الله عنه ـ ، ونصّه : قوله ﷺ لأبي ذرّ : (يا أبا ذرّ لاَ عَقْلَ كَالتَدْبِيرِ ، وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ ، وَلاَ حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلق) ، وقد ضعّفه الشّيخ الألباني في كتابه " سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السّيّئ على الأمّة " برقم 1910 ، 382/4 ، ط 1/ 1412 هـ ـ 1992 م ، دار المعارف ، الرّياض ، المملكة العربية السّعودية .

عن كسب الآثام ، فهذا هو الورع حقيقة ، ومَن ضيّع شيئًا من ذلك ، نقص من ورعه بقدر ذلك (1) .

فمن خلال هذا الكلام يوضّح لنا ـ رحمه الله ـ أنه يرى أنّ الورع هو كفّ جميع الجوارح عن كلّ شيء محرّم ، سواء كان ذلك في الأقوال أو الأفعال أو الاعتقاد أو السّلوك ، كما وردت النصوص في ما سبق أنه عرضت عليه المناصب وخاصّة القضاء إلا أنّه رفض ذلك ، وهذا هو دأب الصّالحين ، فقد كانوا يتورّعون خشية الوقوع في الزّلل ، وكان هو ـ رحمه الله ـ من هؤلاء .

ونذكر هنا في هذا المقام صورة من صور ورعه ـ رحمه الله ـ ، فنجده لا يتكلّم في آية من كتاب الله برأيه وليس له علم فيها ، إضافة إلى ذلك أنّه يصرّح بكلامه ، وخير مثال أسوقه هنا ، ما ذكره ـ رحمه الله ـ في تفسيره ، وهي قول الله تعالى :{ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۝} [يس : 42] , فقد قال فيها : " وهذا الموضع من أشكل المواضع عليَّ في التفسير " (2) ، فلو لم يكن الشّيخ فيه هذه السّمة والخلة الحميدة ، لقال في تفسير الآية برأيه ولكن ورعَه حمله على عدم القول فيما لا يعلمه .

وهو مَثَلٌ يقتدى به في الورع والزّهد ، فقد شبّ منذ صغره على هذا الخلق الرّفيع ، وسار وفق منهاجه حتّى أصبح سجيّة فيه .

ثالثاً : تواضعه وعودته للحقّ .

لقد اشتهر الشّيخ ـ رحمه الله ـ بتواضعه الكبير ، فبالرّغم من علوِّ منزلته , وتصدّره للتدريس والإفتاء في بلده قرابة الخمسين عامًا فإنه كان متواضعاً لم يغترّ بهذا المنصب ، وهذا هو دأب الصّالحين وخُلتهم ، إذ كانوا يزدادون علمًا ، وبعلمهم ذاك يزدادون رفعة وتواضعاً لله ولعباده ، خلافًا لما يفعله الكثير من الناس .

فكان تواضعه للصّغير والكبير ، والضّعيف والقويّ ، والفقير والغنيّ على السّواء ، ولا

---

(1): بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 161 ، ت/ عبد الكريم بن رسمي الدريني ، ط 1/ 1422 هـ - 2002 م ، مكتبة الرّشد .

(2): تفسير السّعدي ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 737 ، ت/ عبد الرّحمن بن معلاّ اللويحق ، ط 2/ 1434 هـ - 2013 م ط 2/ 1434 هـ - 2013 م ، مؤسّسة الرّسالة ، دمشق ، سوريًا .

يفضّل أحدهم على الآخر ، حيث يمشي مع العامّة والخاصّة من الناس ، ويجتمع معهم ، ويكون كالأخ مع إخوته ، أو كالأب مع أولاده ، أو كالمربّي أو كالمعلم مع تلاميذه ، أو كالأستاذ مع طلّابه ، فيرشدهم ، ويوجّههم ، ويدلهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ولا يحقر أحدًا ممّن استوقفه في أمر يهمّه ، أو طلبه لقضاء حاجته ، بل يتكلم مع كلّ إنسان يريد أن يصلح نفسه , ويبحث معه في الموضوعات التي تشغل باله .

فهذا ما تميّز به من هذا الجانب ، وما دلّ مفهومه عليها ، أمّا بالنسبة لضدّ هذه الصّفة (وهي التكبّر) فقد فهمها ـ رحمه الله ـ أن يرى المرء في نفسه خيرًا أكثر ممّا في غيره ، وأن لا يرجع إلى قول الحقّ إذا صدر ممّن هو أدنى منه ، وهذا المعنى دقيق غاب عن كثير من الناس الذين يخلطون بين العزّ والتكبّر ، والذلة والتواضع ، فالعزّة لله مطلوبة ، والتكبّر صفة مرفوضة ، كما أنّ التواضع والرّجوع للحقّ مطلوب ، والذلّ لغير الله مرفوض ، وبينهما معنى دقيق لا يدركه إلا المتبصّرون الصّالحون .

وقد أدرك هذا يقينًا ـ رحمه الله ـ حيث قال : فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحقّ ، ولا يمنعه قول قاله ، ثمّ رأى الصّواب في خلافه من مراجعة الحقّ والرّجوع إليه ، فإنّ هذه علامة الإنصاف ، والتواضع للحقّ ، فالواجب إتّباع الصّواب ، سواء جاء على يد الصّغير أو الكبير ، ومن نعمة الله على المعلم أن يجد من تلاميذه مَن ينبّهه على خطئه ويرشده إلى الصّواب ، ليزول استمراره على جهله ، فهذا يحتاج إلى شكر لله تعالى ، ثمّ إلى شكر مَن أجرى الله الهدى على يده متعلمًا أو كان غيره (1) .

ومن أعظم ما يجب على المعلّمين أن يقولوا فيما لا يعلمونه ، الله أعلم ، وليس هذا بناقص لأقدارهم ، بل هذا ممّا يزيد قدرهم ، ويستدلّ به على كمال دينهم ، وتحرّيهم للصّواب (2) .

وقال الشّيخ الألباني (3) ـ رحمه الله ـ :التقيته في دمشق قبل أكثر من أربعين سنة ، وآنست منه علمًا جمّا ، ورأيت فيه تواضع العلماء ، وهو كسائر علماء نجد ، يذكّروننا بأخلاق العلماء المتقدّمين وتواضعهم ، وليس كغيرهم ممّن جعلهم علمهم مغرورين متكبّرين...(4) .

---

(1) (2): الفتاوى السّعدية ، عبد الرّحمن النّاصر السّعدي ، ص 627 - 628 ، ط 1/ 1388 هـ - 1968 م ، مكتبة المعارف ، الرّياض ، المملكة العربية السّعودية .

(3): هو أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين ، بن الحاج نوح ، بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني ، وهو سوري الجنسية ، ولد في أشقودرة بألبانيا سنة 1333 هـ الموافق لـ 1914 م ، ومن أبرز كتبه : الرّوض النّضير في ترتيب وتخريج معجم الطّبراني الصّغير ، توفي قبيل يوم السّبت 22 جمادى الآخرة سنة 1420 هـ الموافق لـ 2 أكتوبر سنة 1999 م ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ، لأعضاء ملتقى أهل الحديث ، من إعداد خالد لكحل ، ص 321 .

(4): ترجمة لتسعة من العلماء ، لمحمّد بن إبراهيم الحمد ، ص 229 .

رابعاً : جرأته في قول الحقّ وحسن منطقه .

إنّنا نجد في سيرة سلفنا الصّالح أنهم لا يبخلون بالنصيحة ولا يتودّدون أو يتقرّبون للسّلطان أو الحاكم ، بل كانوا في أغلب أوقاتهم أقوياء في قول الحقّ ، حتّى ولو مع السّلاطين أو الملوك ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، فتجدهم يتشدّدون ويُحكمون عليهم في النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويبلغون أمانة ربّهم أيّما تبليغ .

فمن جرأة ابن السّعدي ـ رحمه الله ـ وأمانته في قول الحقّ ، أنّه كان متشدّدًا على أهل البدع والأهواء ، وأصحاب الأفكار المنحرفة ، والمغالين في الدّين ، والذين يحملون عقائد فاسدة ، إذ نجده يردّ على أمثال هؤلاء بالأدلة والبراهين القاطعة ، والتي تبطل أصولهم وعقائدهم غير الصّحيحة ، وكان يفعل كلّ ذلك بأدب ووقار .

وكان يقول الحقّ ويصدع به ابتغاء وجه ربّه ، وذلك ممّا وهبه الله ملكة في الأداء ، وحسن منطقه في الكلام جذبت إليه الناس ، ممّا جعلهم يتأثّرون به ، ويأخذون بنصيحته ، ولا يسأمون من كلامه وتوجيهاته ، ومواعظه وإرشاداته ، حيث كان يملك أسلوبًا جيّدًا في الأداء والتبليغ ، ويتفاعل مع كلامه ، فهذا الذي جذب كثيرًا من الناس إليه وإلى مجلسه .

خامساً : سموُّ أخلاقه ولين جانبه .

فمن مناقب الشّيخ ـ رحمه الله ـ أنّه سما بأخلاقه سموًّا لا يعرفه أحد ، حيث يصحب الناس مع اختلاف منازلهم ، بارًّا ورحيماً بهم ، عطوفًا عليهم ، صبورًا معهم ، يتودّد لهم بالحسنى ، وذلك لأجل نفعهم .

فتجده يداعب ويمرح مع الصّغير والكبير ، ولا تعرف في وجهه الغضب البتة ، وينزل كلّ واحد من الناس منزلته ، ويحرص على القرب منهم ، وإجابة دعواتهم ، وزيارة مرضاهم، وتشييع جنائزهم .

كما تجده عفيف اليد ، عزيز النفس ، محبًّا لإصلاح ذات البين ، يعترف بفضل مَن أحسن إليه ، ويعمل جاهدًا على كلّ ما يصلح المجتمع ، ومن ذلك أنّه هو أوّل مَن أدخل واستعمل مكبّر الصّوت في عُنيزة (1) ، دون معارضة أيّ أحد ، وذلك ممّا رأى فيه النفع العميم ، والأجر العظيم من إيصال الصّوت للناس ، في الدّروس والخطب الجمعية ، والتي كان كثيرًا منهم لا يسمعون بلا مكبّر صوت ، وخاصّة أولئك البعيدين عن مجلس الشّيخ .

---

(1): ينظر ص 3 .

ومن حسن خلقه أنه لا ينـافس أيَّ أحد على الجاه والسّمعة ، ولا يزاحمه في منصب أوعمل ولا يذكر غيره إلّا بخير ، وهذه خلـة الصّالحيـن ، ودأب المتقين ،{ وَمَـا يُـلَـقّـيـهَـآ إِلاَّ اَلـذِيـنَ صَبَـرُواْ وَمَـا يُـلَـقّـيـهَـآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ } [فصّلت : 35] .

ومع هذا كله ، لا نجد ولم يذكر أن كان له عدوّ أو خصم أو منافس ، وهـذه عطيـة مـن الله وفضل يؤتيه مَن يشاء من عباده .

ولذا فإنّ الله سبحانه أعطاه محبّة في القلوب ، وثقة في النفوس ، فأجمعت البلاد على وُدِّه ، واتفقت على تقديمه ، فصار له زعامة شعبية ، فإشارته نافـذة ، وكلمتـه مسموعـة ، وأمـره مطاع (1) .

وجملة يقال فيه ، أنّه كان آية باهرة في المناقب والشّمائل ، والأخلاق والفضائل .

الفرع الثّاني : آثاره .

لقد قـام الشّيخ ـ رحمه الله ـ بأعمال جليلة ، وآثار نبيلة ، حُمد عليها في حياته وبعـد مماته ، وكـان مـن أبرزها الـدّروس العلميـة ، والخطب الجمعيـة ، التي كـان يُلقيها في عـنـيـزة (2) لتلاميذه وطلّابه خاصّة ، ولجميع الـناس عامّة ، كما كان دائمًا يشجّع على الأعمال الحسنة والمشاريع الخيرية ، ومن تلك الأعمال والآثار ما يلي :

أوّلاً : أنّ في سنة 1360 هـ قام بتأسيس المكتبة الشّهيرة الوطنية بعنيزة (3) , فاجتهد الشّيخ أيّمـا اجتهـاد ، وجلـب لهـا آلاف الكتـب في شتى الفنـون ومختلـف العلـوم ، مـن مخطوط ومطبـوع ، فأصبحـت هـذه المكتبـة بمثـابـة نـادي علمـيّ ، يرجـع لهـا طلبـة العلـم فيـمـا يـحـتـاجونـه ، وخصّص لهـا الشّيـخ مجلسًا ، يُقـرئ طلبتـه فيـه ، شُـدّ لـه الرّحـال مـن كـلّ حـدب وصـوب .

وتعتبر هذه المكتبة من أوائل المكتبـات في العهـد السّعودي الأوّل ، وخاصّـة في نجـد (4) ، وبالأخصّ في عُنيزة (5) .

وفي ذات السّنة عرض عليه القضاء بمسقط رأسه ، لكنّه أبى ذلك .

---

(1): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 246/3 .

(2) (3) (5): ينظر ص 3 .

(4): ينظر ص 10 .

ثانياً : وفي رمضان من سنة 1361 هـ عيّنه قاضي عُنيزة (1) إمامًا وخطيبًا بالجامع الكبير فاستحسن أهالي المنطقة بهذا الصّنيع ، واعتبروها حسنة من حسنات القاضي ، فأحبَّه الناس عليها ، وحفظوها له ، ومكث الشّيخ ـ رحمه الله ـ إمامًا وخطيبًا في هذا المسجد حتى قضى نحبه .

ثالثاً : وفي سنة 1362 هـ قام ـ رحمه الله ـ بجمعية خيرية دعا فيها المحسنين لجمع التبرعات ، وذلك من أجل عمارة مقدّمة الجامع الكبير الذي عُيّن فيه إمامًا ، فلبّى أهل الخير النداء ، وجمع في ذلك مبلغًا لا بأس به مكنه من عمارة مُحْكمة للمسجد مع توسّعته ، وذلك بإدخال لحوزته بعض الدّور التي كانت تحيط به .

رابعاً : وفي سنة 1372 هـ قام أيضًا بجمعية أخرى خيرية ، جدّد فيها النداء لأهل الخير ، من أجل إكمال عمارة مؤخّرة الجامع ، وكالمعتاد لبّ فيها المحسنون دعوة شيخهم ، وانتهت هذه الأعمال على أحسن ما يرام (2) .

خامساً : كما عيّن مشرفًا على المعهد العلمي بعُنيزة (3) عندما تأسّس سنة 1373 هـ دون مقابل (4) .

وكان هو المرجع ببلدته عنيزة (5) في جميع الأمور، فهو المدرّس ، والإمام ، والخطيب ، والواعظ ، والمرشد ، والموجّه ، والمفتي ، والقاضي ، وكاتب الوثائق ، ومحرّر الوصايا، وعاقد الأنكحة ، ومستشارًا للناس في أمورهم .

كلّ ذلك كان من أفعاله الخيرية ، وأعماله التّطوّعية ، ومساعيه المشكورة ، وجهوده المبذولة ، حسبة لله تعالى أوّلاً ، وخدمةً لوطنه وبلده ثانياً ، ونفعاً لطلاّبه والمسلمين جميعاً ثالثاً .

---

(1): هو عبد الرّحمن بن علي بن عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن علي بن سليمان بن يحيى بن عودان ، ولد في مدينة شقراء عاصمة الوشم سنة 1315 هـ ، ومن أبرز شيوخه : إبراهيم بن عبد اللّطيف الباهلي قاضي شقراء ، ومن بين تلاميذه : عبد الرّحمن بن مانع ، تولّى القضاء بمسقط رأسه بعد وفاة شيخه الباهلي سنة 1354 هـ ، ثمّ عيّن قاضيا في عُنيزة ابتداء من أوّل ليلة من رمضان سنة 1361 هـ إلى غاية 1369 هـ ، توفّي في 12 ربيع الأوّل 1374 هـ ـ رحمه الله ـ ، ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 3/ 130 - 131 - 136 - 138 .

(2): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 223/1 .

(3) (5): ينظر ص 3 .

(4): ترجمة لتسعة من العلماء ، لمحمّد بن إبراهيم الحمد ، ص 230 - 231 .

المطلب الرّابع : مرض الشّيخ ووفاته .

الفرع الأوّل : مرضه وعلاجه .

لـقـد أصيب الشّيخ عبـد الرّحمـن بن نـاصر آل سعـدي بمرض داخلـي ، وهـذا بسبب كـثـرة أعماله وتفكيره ، وانغماسه الدّؤوب في مجالي التدريس والتأليف ، حيث ضلّ طوال حياته حليف العلم والتعليم ، والتفكر والعبادة ، والاهتمام بأمور المسلمين وأحوالهم ومصالحهم ، ومَن كان في مثل هـذا المقـام (وهـو أن يهتمّ بأمـر المسلمين) وينصـرف اهتمامَه إليهـم ، وهذا على حساب نفسه وصحّته , فلا بـدّ أن ينـال منه المـرض ويأخذ نصيبًا من جسمــه ، وهي دأب الصّالحين السّابقين من قبل ، وسمة اللاحقين من بعـد ، فـإنّ قـوّة الجسـم والبدن محدودة ، فمهمـا طـال عيش الإنسان في هذه الحياة ، فـلا بدّ من القضـاء المحتوم ، الذي لا مفرّ منه .

ففي سنة 1371 هـ أصيب بمرض ضغط الدّم وضيق الشّرايين ، وكـان هـذا المرض تبـدو أعراضه بعض السّاعات في كلامه ، فيقف مهلة ولـو كان يقرأ القرآن ، ثمّ يستأنف ويرجع إلى كلامه ، وقد أقعده لمدّة طويلـة وبقي معه صابرًا طيلة خمس سنوات ، حتى ازداد عليه المرض ، فأخذته الحكومة السّعودية على نفقتها من أجل أن يقدّموا له الإسعافات الأوّلية ، وبالفعـل حملـوه إلى لبنان ومكـث فيهـا شهـرًا يعالـج هذا المرض ، حتى شفاه الله وعاد إلى حالته الأولى ، مع وصيّة الأطبّاء له بالرّاحة وقلة التفكير وعدم إجهاد النّفس .

وبعد أن رجع إلى مدينته باشر أعماله التي كـان يباشرهـا قبل مرضه ، من تدريس وتعليم وخطابة ، وتأليف وإفتاء وإمامة ، لأنّ حياتــه العلميـة تأبى إلاّ أن يكـون كذلك ، فعـاد إليـه المرض مرّة ثانية أشدّ من الأولى ، وكان هذا المرض يأتيه بين الفَيْنة والأخرى .

وفي جمادى الآخر من سنة 1376 هـ جاءته بـردة وقشعريرة ، وفي ليلة الأربعاء 22 من نفس الشّهر والسّنة ، وبعد فراغـه من درسه المعتـاد ، الذي كان شبيه بالمحاضـرة ، أحسّ بالـذي هو فيه ، فشعُر بثقل وضعف حركة لم يتمكن بعدها بالمشي ، وبعد أن صلى بالناس وأَمَّهم في صلاة العشاء ، أشار إلى أحد تلامذته أن يمسكه بيده ويحمله إلى داره ، فقام معه أناس من الحاضرين وحملوه إلى داره ، فلمّا وصل أغمي عليه ، وبعدها أفاق لفترة وجيزة حمـد الله فيها وأثنى عليه بما هو أهله ، وتكلم مع الحاضرين بكلام حسن طيّب بها قلوبهم ، وطـمأن أهله وأنه بخير وعافية ، ثـمّ سكت وعاوده الإغماء مرّة ثانية ولم يفق بعدها ، فلمّا أصبحوا طلبوا الطبيب فاكتشف أنّ في داخل مُخّه نزيـف ، إن لم يتدارك فورًا فـإنّه سيؤول به إلى الهلاك .

وبينما هم كذلك ، أرسلوا برقية على السّريع إلى ملك الدّولة السّعودية (1) آنذاك ، فأصدر أمرًا عاجلًا بكلّ ما يلزم لإسعاف فضيلة الشّيخ ، فقامت طائرة وأقلعت من الرّياض وفي حوزتها أطبّاء مختصّون ، قد اتجهوا نحو مدينة عُنيزة (2) أين يقيم الشّيخ ، ولكن الجوّ كان رديئًا وملبّدًا بالغيوم والضّباب ، وقد تتابعت الأمطار لمدّة طويلة قرابة أربعين يومًا ، لم تتمكن الطائرة من خلالها الهبوط في مطار عُنيزة (3) ، فولت أدراجها من حيث أتت .

الفرع الثاني : وفاته ودفنه .

وبينما هي الأجواء كذلك ، إذ رجعت الطّائرة من صبيحة الغد لمحاولة الهبوط ، لكن قضاء الله وقدره كان الأسبق ، فبينما هم في الجوّ حتى تلقوا مكالمة هاتفية بوفاة الشّيخ ، فرجعت من حيث أتت ، وكان من بين الرّاكبين فيها ابنه الأكبر عبد الله .

وقبيل طلوع فجر يوم الخميس 23 جمادى الآخرة من سنة 1376 هـ عن تسع وستين سنة قضاها في العلم تعلمًا وتعليمًا ، وإفتاءً وتدريسًا ، وإمامًا وخطيبًا ، وتفكرًا وتأليفًا ، انتقل إلى رحمة الله الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي ، وأخّرت الصّلاة عليه إلى صلاة الظهر لعلّ أحد أولاده يدرك تشييع جنازة والدهم ، لكن لبعد المسافة وحالة الجوّ التي كانت تعتريه ، لم يتمكن أحدهم للحضور .

وعندما حان وقت الظهر ، وآن الوقت للصّلاة عليه بعد الفريضة ، أَمَّ الناس أحد تلاميذه ، وهو نائبه في الإمامة والخطابة (4) بالجامع الكبير ، وقد أَمَّهم في حشد غفير لم يشهد له مثيل من قبل ، فامتلأ الجامع بالمصلين والمشيّعين ، وانهمرت العيون بالدّموع ، وانطلقت الألسن بالترحّم عليه ، والدّعاء له بالمغفرة والرّضوان ، وبعد أداء الصّلاة حُمل فوق الأعناق وسط ازدحام كبير ، ودفن بمقبرة الشّهوانية شمالي مدينة عُنيزة ، كما صلوا عليه صلاة الغائب في مساجد نجد قاطبة .

والحقيقة أنّ مدينة عُنيزة منذ تأسيسها لم تصب بمصيبة مثل هذه المصيبة ، ممّا جعل الناس يتألّمون لفراقه ، وحزنوا حزنًا شديدًا ، وبكته العيون من كلّ المواطنين ، وحضر الجنازة وشهدها كلّ صغير وكبير وقريب وبعيد ، وهذا لِمَا رأينا ما يفعله مع جميع الناس في حياته ، وما شهدنا من سموٍّ مناقبه وأخلاقه ، وبموته فقد المسلمون عَلَمًا من أعلام الإسلام .

---

(1): وهو فيصل بن عبد العزيز آل سعود .

(2) (3): ينظر ص 2 .

(4): وهو الشّيخ عبد العزيز بن محمّد بن سليمان البسّام .

كما فقدت بلدته أعزّ وأغلى شخص يعيش في رحابها ، وأحسّ النّاس بفراغ كبير برحيله ، وبقي ذكره على الألسنة ، ومحبّته في القلوب ، وحديثه في الأذهان (1) .

وبعد دفنه بدأ الناس يهتفون بالتعازي والبرقيات من كلّ الجهات ، وبدأ تلاميذتـه وأهل القلم من العلماء والأدباء في رِثائه ، وسأذكر بعض المراثي في ختام هذا الفرع .

وبرحيل الشّيخ ـ رحمه الله ـ نجده قد ترك وراءه ثلاثة من الأولاد وهم :

أوّلاً : عبد الله وهو أكبرهم ، وقد أشرف على طباعـة بعض مؤلـفـات والـده .

ثانياً وثالثاً : محمّد وأحمد وهم يعملون في التجارة بمدينتي الرّياض والدمّام .

فرحم الله شيخنا المفسّـر عبد الرّحمـن بن ناصر آل سعـدي رحمـة واسعـة ، وأسكنه منازل الأبرار ، وبوّأه أعلى الجنـان ، مع النّبيئيـن والصّدّيقيـن والشّهـداء والصّـالحيـن الأخيـار ، فاللهمّ الحقنا به جميعًا ، واحْشرنا معه ومع نبيّنا برحمتك يا عزيز يا غفّار .

وها أنا أذكر بعض مـا رثـاه أهـل العلـم في رحيله ، ومن ذلك ما قاله عبد العزيز العثيمين الموظّف بوزارة الحجّ والأوقاف والمشرف على عمارة الحرم :

رزء عـظـيـم أثـار الـحـزن والأسـفـا فـالـدّفـع فـيه عـلـى الـخـدّيـن قـد وكـفـا

رزء أصـيـب بـه الإسـلام قـاطـبـة كـادت تـفـتـت أكـبـاد مـا اكـتـنـفـا

في كلّ وقـت ترى الأخـيار قد ذهـبت لا خير في العـيش لي حتّى وإن عـطفـا

وفي وسط رثائه يقول :

الـيـوم حـقّـا فـقـدنا لـلـهـدى عـلـمـا الـيـوم حـقّـا فـقـدنا الـزّهـد والـشّـرفـا

بـقـت عُـنـيـزة دهـرا وهـي رافـعـة لـواء فـخـر لـه كـلّ الـورى عـرفـا

ظـلّـت به العرب دهرا وهي فـاخـرة واليـوم أضحـت تـعـزى فـيـه وا أسـفـا

---

(1): روضة النّاظريـن عن مآثـر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بـن عثمان بـن صالح بـن عثمان القاضي ، 226/1 ، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 250/3 ، ومشاهير علمـاء نجـد وغيرهم ، لعبـد الرّحمن بـن عبد اللّطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 396 - 397 .

وفي ختام رثائه قال :

فالله يلهمنا صبرا وقد عظمت مصيبة أثقلت في حملها الكتفا

والله يجزيه عن إحسانه حسنا والله يسكنه من جنّة غرفا(1)

(1): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين , لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي , 228/1 - 230 .

المبحث الثاني : الحياة العلميّة للشّيخ .

وسأتطرّق في هذا المبحث ـ بعون الله تعالى ـ إلى العديد من الجوانب التي تختصّ بالسّيرة العلمية للشّيخ ـ رحمه الله ـ وذلك بالكلام عن تلقيه للعلم منذ نعومة طفولته ، وكذا الرّحلات التي قام بها في سبيل العلم ، وبداية تدريسه ونظرته للعلم وأهله ، ثمّ بعد ذلك الكلام عن شيوخه ومدرّسيه ومنتوجه البشري الذي تخرّج على يده ، وكذا العلمي الذي كتبه بيده .

ولتحقيق الغرض المنشود ، جعلت هذا المبحث في أربعة مطالب ، وهي على النسق الآتي.

المطلب الأوّل : بداية تلقيه للعلم وثناء العلماء عليه .

المطلب الثاني : بداية تدريسه ونظرته العلمية .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الرّابع : مؤلّفاته وتصانيفه .

وسأشرع ـ بعون الله القدير ـ في أوّل هذه المطالب وهو :

المطلب الأوّل : بداية تلقيه للعلم وثناء العلماء عليه .

الفرع الأوّل : بداية طلبه للعلم .

أستهلّ هذا الفرع بما ذكره المؤلف والشّيخ عبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام في كتابه " علماء نجد خلال ثمانية قرون " فقال : (وحين حملت به أمّه رأت رؤيا في المنام كأنّها تبول في محراب المسجد الجامع ، ففزعت لذلك ، فقصّت رؤياها على زوجها ، وكان عنده طرف من علم التعبير ، فقال لها : إن صدقت رؤياكِ فستلدين غلامًا يكون إمامًا في محراب المسجد الجامع) (1) .

وجاءت الرّؤيا كما عبّر عنها والده ، فشبّ على حبّ العلم وأهله ، وهذا بعد أن ترعرع في بيت أخيه الأكبر ، فعُرف منذ حداثته بالعلم ، إضافة إلى ذلك أنه اشتهر بالصّلاح والتقوى، فأقبل على العلم بجدّ ونشاط ، وهمّة عالية وعزم فنبغ نبوغًا قويًّا ، وتفوّق على رفاقه ، حتى صار في سنّ الشّباب المبكر متعلمًا ومعلمًا ، وجاءت رؤيا أمّه صحيحة ، فأصبح إمامًا في الجامع الكبير بمدينته حتى توفاه الله .

---

(1): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 219/3 .

أوّلاً : حفظه لكتاب الله تعالى .

كانت بداية الشّيخ ـ رحمه الله ـ في طلب العلم بحفظ القرآن الكريم وهذا بعد وفاةِ أبويه ، فحفظه وهو ابن احدى عشرة سنة ، ثمّ أتقن حفظه وهو ابن أربعة عشر سنة ، وذلك على يد الشّيخ سليمان بن دامغ ، في مدرسته بأمّ خمار (1) والموجودة بمدينة عُنيزة .

ثانياً : بداية تلقيه للعلم .

بعد أن حفظ القرآن وأتقنه ، اهتمّ الشّيخ ـ رحمه الله ـ منذ صغره بطلب العلم ، وكان ممّا شجّعه على ذلك ، أخوه الأكبر حمد الذي كان يدفعه لِحِلق العلم ، ويكفيه أيضًا مؤونة العيش ، إضافة إلى البيئة التي كانت تعلو بالأخلاق الكريمة ، والآداب الرّفيعة ، وبذلك ازدادت رغبته في تحصيله للعلم .

وقد اشتغل بالعلم على علماء بلده ومَن يرد إليها من العلماء ، وانقطع للعلم وجعل كلّ أوقاته مشغولة في تحصيله حفظًا وفهمًا ودراسة ومراجعة واستذكارًا ، حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في عمر طويل (2) .

وكان يواضب على حضور حلق العلم والدّروس التي كان يلقيها العلماء ، سواء كانوا من داخل بلده أو من خارجها ، ولم يكن في طلبه للعلم جامدًا على فنّ واحد ، بل أخذ من شتى المجالات الشّرعية ، وارتوى من عدّة فنون إسلامية ، ونوّع من العلوم التي كان يتعلمها ، ومن تلك العلوم : علم التفسير ، وعلم الأصول ، وعلم مصطلح الحديث ، وعلم العقيدة ، وعلم اللغة ، وعلم الفقه ، ولا أدلّ على ذلك ، ما تركه من مؤلفات زخرت بها المكتبة الإسلامية والعربية .

ولقد أكبّ بالمطالعة على كتب الفقه والحديث طيلة حياته (3) وكان شغوفًا بهما ، وممّا يجدر ذكره أيضًا أنه كانت له حافظة قوية ، حتى حفظ الكثير من المتون العلمية ، ومنها نونية ابن القيّم ـ رحمه الله ـ .

وهذا ما جعل شيوخه ينبهرون بذكائه وفطنته ، ونبله وأخلاقه واستقامته ، وعذوبة كلامه وحسن صوته ، وملازمة مجالسهم العلمية ، فأصبحوا يوقّرونه ويحترمونه .

---

(1): وفي معجم بلاد القصيم بالحاء هكذا (أُمُّ حمَار) ، وهي صيغة التكنية بالحمار ، وهي محلة من محلات مدينة عُنيزة القديمة ، تقع في الجنوب منها ، ينظر إلى معجم بلاد القصيم ، لمحمّد بن ناصر العبّودي ، 391/1 .

(2): المصدر السّابق ، 220/3 .

(3): روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 220/1 .

الفرع الثّاني : ثناء العلماء عليه .

لقد أثنى على الشّيخ ـ رحمه الله ـ ثلّة من العلماء الأفداد ، ومجموعة من تلاميذه الأسداد ، فوصفوه بطيب الخصال ، ونعتوه بحميد الفعال ، وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدلّ على قيمة الرّجل ، ومكانته العلمية عندهم .

وإليك أخي القارئ والسّامع ، هذه النصوص وبعض ما قاله أهل العلم في حقه :

أوّلاً : ما قاله أهل العلم .

1 - قول سماحة الشّيخ عبد العزيز بن باز (1) ـ رحمه الله ـ : (... كان ـ رحمه الله ـ كثير الفقه والعناية بمعرفة الرّاجح من المسائل الخلافية بالدّليل ، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية (2) وتلميذه العلامة ابن القيّم (3) ، وكان يرجّح ما قام عليه الدّليل ، وكان قليل الكلام إلا ما ترتب عليه فائدة ، جالسته غير مرّة في مكة (4) والرّياض ، وكان كلامه قليلا إلا في مسائل العلم ، وكان متواضعًا ، حَسَنُ الخُلق ، ومَن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه ، وعنايته بالدّليل ، فرحمه الله رحمة واسعة) (5) .

---

(1): عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله آل باز ، ولد في الريّاض في ذي الحجّة 1330 هـ ، فحفظ القرآن قبل البلوغ على يد الشّيخ عبد الله ابن مفيريج ، ومن بين شيوخه : الشّيخ سعد بن حمد بن عتيق ، ومن بين مؤلّفاته : الدّعوة إلى الله وأخلاق الدّعاة ، توفي قبيل فجر الخميس 27 محرّم 1420 هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر ترجمة لتسعة من العلماء ص 436 - 445 - 556 .

(2): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيمية الحراني ، يكنى بأبي العبّاس ، يلقب بتقي الدّين ، ولد يوم الإثنين 10 وقيل 12 ربيع الأوّل سنة 661 هـ ، ومن بين شيوخه : فخر الدّين بن البخاري ، توفي سنة 728 هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر ترجمة لتسعة من العلماء ص 53 - 54 .

(3): محمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد بن حريز بن مكي زين الدّين الزّرعي ثمّ الدّمشقي الحنبلي ، المكنّى بأبي عبد الله ، والملقب بشمس الدّين ، والشّهير بابن قيّم الجوزية ، ولد في 7 صفر سنة 691 هـ ، ومن بين شيوخه : شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن بين مؤلفاته : مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين , توفي وقت آذان العشاء 13 رجب سنة 751 هـ ، وبه كمل من العمر 60 سنة ـ رحمه الله تعالى ـ ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصّغير عند والدته , ينظر ابن قيّم الجَوْزيّة حياته آثاره مولده ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، ص 17 - 21 - 311 - 312 ، النّشرة الأولى 1412 هـ ، دار العاصمة ، المملكة العربية السّعودية .

(4): هي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جميع النواحي محيطة حول الكعبة ، وبناؤها من حجارة سود وبيض ملس ، وعرضها سعة الوادي ، والمسجد في ثلثي البلد إلى المسفلة والكعبة في وسط المسجد ، وأمّا المسافات فمن الكوفة إلى مكة سبع وعشرون مرحلة ، وكذلك من البصرة إليها ونقصان يومين ، ومن دمشق إلى مكة شهر ، ومن عدن إلى مكة شهر ، وبينها وبين حضر موت نحو شهر إلى خمسين يومًا ، ولها أسماء غير ذلك ، وهي مكة وبكة وأمّ القرى والحاطمة والرّأس و القادسة والباسّة ... وهي بيت الله الحرام ، ينظر معجم البلدان للشّيخ الإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي , 5/ 181 - 182 - 187 - 188 .

(5): ترجمة لتسعة من العلماء ص 229 .

2 - قـول الشّيخ عبد الـرّزّاق عفيفي (1) : (إنّ مَـن قـرأ مصنّفـات الشّيـخ عـبـد الرّحمن بن ناصر بن سعدي ـ رحمه الله ـ وتتبّع ومؤلفاته وخالطه ، وسبر حاله أيّام حياته ، عرف منه الدّأب في خدمة العلم اطلاعًا وتعليمًا ، ووقـف منـه على حسـن السّيـرة وسماحـة الخلـق ، واستقامـة الحال ، وإنصاف إخوانه وطلابه من نفسه ، وطلب السّلامة فيما يجر إلى شرّ أو يفضي إلى نزاع أو شقاق فرحمه الله رحمة واسعة) (2) .

3 - قـول الشّيخ محمّد حـامد الفقي (3) : (لقـد عرفت الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي من أكثـر من عشريـن سنـة فعرفـت فيـه العالـم السّلفـي المحقّـق ، الـذي يبحث عـن الدّلـيـل الصّـادق ، وينقب عن البرهـان الوثيـق ، فيمشي وراءه لا يلوي على شيء ... وعرفت فيه دعوته القوية الصّادقة إلى الأخذ بكلّ أسباب الحياة العزيزة القويّة الكريمة النقيّة) (4) .

ثانياً : ما قاله تلاميذه .

1 - قول الشّيخ محمّد بن صالح العثيمين (5) : (إنّ الرّجل قلّ أن يوجد مثله في عصـره في عبادته وعلمه وأخلاقه ، حيث كان يعامل كلا من الصّغير والكبير بحسب ما يليق بحـالـه ،

---

(1): عبد الرّزّاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البرّ بن شرف الدّين النوبي ، ولد في 27 رجب سنة 1323 هـ الموافق لـ 16 ديسمبر سنة 1905 م في قرية شنشور مركز أشمون التابع لمحافظة المنوفية ، وهي إحدى محافظات مصر، ومن بين شيوخه : محمّد رشيد رضا ، ومـن بين تلاميذه : عبد الله بـن عبد المحسن التركي ، توفي يـوم الخميس 25 ربيع الأوّل سنة 1415 هـ ، عن عمـر يناهز 90 عامًا ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر الشّيخ العلاّمة عبد الرّزّاق عفيفي حياته العلمية ، وجهوده الدّعوية ، وآثاره الحميدة ، لمحمّد بن أحمد سيّد أحمد ، 73/1 - 112 - 116 ، 2/ 667 ، المكتب الإسلامي .

(2): المرجع نفسه ص 257 .

(3): محمّد حامد بـن أحمد عبده الفقي ، ولـد بقرية نكـلا العنب في 1310 هـ الموافق لـ 1892 م ، كـان والـده ممّن تـلـقـى تعـلـيـمه بالأزهر ، وكانت والدته تحفظ القرآن وتجيد القراءة والكتابـة ، حفظ القرآن وسنـه 12 سنـة , بـدأ دراستـه بالأزهـر عـام 1322 هـ الموافق لـ 1904 م ، وتخرّج منـه عـام 1917 م وكـان عمره 25 سنة ، أنشـأ جماعـة أنصـار السّنـة المحمّديـة ، وكـذا مجلة الهدي النّبوي ، ومن بين مؤلفاته تحقيق كتب شيخ الإسلام وابن القيّم ـ رحمهما الله ـ ، توفي فجر الجمعة 7 رجب 1378 هـ الموافق لـ 16 يناير 1959 م ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ص 351 .

(4): الشّيــخ عبـد الرّحمـن بـن سعـدي وجهـوده في توضيـح العقيـدة ، عبد الرّزّاق بـن عبد المحسن العبّـاد ، ص 65 ، الرّيـاض ، ط 1411/1 هـ ـ 1990 م ، ط 1414/2 هـ ـ 1993 م ، مكتبـة الرّشـد .

ترجمة لتسعة من العلماء ص 230 .

(5): محمّد بـن صالح بـن محمّد بـن سليمان بـن عبد الرّحمـن العثيمين الوهيبي التميمي ، ولد في ليلة 27 من رمضان المبارك سنة 1347 هـ في مدينة عُنيزة ـ إحدى مدن القصيم ـ بالمملكة العربية السّعودية ، حفظ القـرآن في سـنّ مبكـر على يـد جدّه من جهة أمّه عبد الرّحمن بـن سليمـان الدّامغ ـ رحمه الله ـ ، ومن بين شيوخه : شيخنـا عبد الرّحمن بـن ناصر آل سعدي ، والشّيخ عبد الرّزّاق عفيفي ، توفي قبل المغرب مـن يوم الأربعاء 15 شوّال سنة 1421 هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر المعجم الجامع في تراجـم العلمـاء وطلبة العلم المعاصر ص 298 .

ويتفقد الفقراء ، فيوصل إليهم ما يسدّ حاجتهم بنفسه ، وكان صبوراً على ما يلمّ به من أذى الناس وكان يحبّ العذر ممّن حصلت منه هفوة ، حيث يوجّهها توجيهًا يحصل به عذر مَن هفا) (1) .

2 - قول الشّيخ عبد الله بن عبد الرّحمن البسّام (2) : (لقد كان للشّيخ عبد الرّحمن السّعدي أثر كبير ، ودور بارز ، في تخريج أفواج كثيرة من طلبة العلم ، حيث جلس للتدريس وإفادة الطلاب أكثر من نصف قرن من الزّمان ، وكان في زمانه هو مرجع أهل البلاد في التدريس والوعظ والتّوجيه والخطابة والإمامة والفتاوى والمشاورات ، وكان محرّر الوثائق والمبايعات والتوثيقات والوصايا ، وغير ذلك وكان يمتاز بكرم النفس وحسن الخلق والبشاشة والطلاقة ، وكان محبوبًا لدا الخاصّة والعامّة) (3) .

3 - قول الشّيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل (4) : (كان ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من مكارم الأخلاق والتواضع ، وكان يحترم جلساءه ويوقرهم ، وكان كثير التسامح مع أصحابه وغيرهم ، ويلتمس العذر لأحدهم مهما كان ، وكان يخالط النّاس ويصبر على أذاهم ، ويجيب دعوة مَن دعاه ، ويتكلم مع كلّ أحد بما يناسب حاله ، ويحرص على نشر العلم بينهم في مجالسهم ، وكان حريصًا على نصح الناس من خلال خطبه المنبرية ومجالسه العلمية ، حريصًا على إفتائهم وحلّ مشاكلهم الدّينية والدّنيوية ، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء) (5) .

---

(1): الشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرّزّاق بن عبد المحسن العبّاد ، ص 65 ، ط 1411/1 هـ ـ 1990 م ، ط 1414/2 هـ ـ 1993 م ، مكتبة الرّشد ، الرّياض .

(2): عبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح بن حمد بن محمّد بن حمد البسّام ، وآل بسّام من سكان عُنيزة ، يكنى بأبي عبد الرّحمن ، ولد بعُنيزة في القصيم 1346 هـ ، ومن بين شيوخه : الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي ـ رحمه الله ـ ، ومن بين زملائه الذين درسوا معه عند الشّيخ ـ رحمه الله ـ الشّيخ عبد الله الصّالح الفالح ، وكان من محفوظاته : القرآن الكريم ، بلوغ المرام ، ألفية ابن مالك ... ، ومن بين تلاميذه : ناصر العبد الله الميمان ، ومن مؤلفاته : تيسير العلاّم شرح عمدة الأحكام ، توفي في ضحى يوم الخميس 27 ذي القعدة 1423 هـ ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر، ص 187 .

(3): المرجع السّابق ، ص 65 - 66 .

(4): عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل بن عبد الله بن عبد الكريم آل عقيل ، ولد بمدينة عُنيزة سنة 1335 هـ ، وكان معلمه الأوّل هو والده عبد العزيز العقيل ، وحكم منصب القضاء بعُنيزة إلى سنة 1375 هـ ، ومن بين شيوخه : علي بن ناصر أبو وادي ، إلى جانب الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي ـ رحمه الله ـ ، وكان من محفوظاته : ألفية ابن مالك ، وعمدة الحديث ... ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ، ص 246 .

(5): المرجع السّابق ، ص 66 .

4 - قول الشّيخ عبد الرّحمن بن عبد العزيز الزّامل (1) :

(دع عنك ذكر الهوى واذكر أخاً ثقةً يدعو إلى العلم مَن أعي به الدّجر

شمس العلوم ومَن بالفضل متّصف مفتاح خير إلى الطّاعات مبتكر

بحر من العلم نال العلم في صغر مع التّقى حيث ذاك الفوز والظّفر

نال العلا بأفعال تعلو مراتبه ففضله عند كلّ النّاس مشتهر

لم يلتفت لحطام المال يجمعه سمى السّما به أسمو وأفتخر) (2) .

فهذه الأقوال المروية عن العلماء الأجلاّء ، وتلاميذ الشّيخ النبلاء ، هي كثيرة وما ذكرت منها إلاّ القليل ، ولولا خشية الإطالة لصببتها صبًّا ، وقد سقت بعضًا منها في هذا المقام ، ليدرك الجميع قيمة الرّجل العلمية ، ومكانته في هذه الحياة الدّنيوية .

---

(1): عبد الرّحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم ، ولد في صفر 1311 هـ ، ومن بين شيوخه : الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي - رحمه الله - ، وكان لا يكبره إلاّ بـ 3 سنوات ، توفي صباح 17 شعبان سنة 1402 هـ - رحمه الله تعالى - ، ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 66/3 - 68 .

(2): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 232/3 ، روضة النّاظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 225/1 - 226 .

المطلب الثاني : بداية تدريسه ونظرته العلمية .

الفرع الأوّل : بداية تدريسه ومصادره العلمية .

أوّلاً : جلوسه للتدريس .

سبق وأن ذكرت أنّ الشّيخ ـ رحمه الله ـ انقطع وحبس نفسه للعلم ، وجعل أوقاته كلها له ، لا تشغله عنه أيّ شاغلة ، وبقي في تحصيله حفظًا وفهمًا ودراسة ومراجعة واستذكارًا حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل .

فبذل ـ رحمه الله ـ أكثر جهده ، ومعظم وقته في طلب العلم وتحصيله ، فلازم العلماء وأكبّ على كتب العلم ، فلا يصرفه عن حلق الذكر ومجالس العلم وقراءة الكتب صارف ، ولا يردّه عنها رادّ ، حتى أناله الله من العلم حظًّا وفيرًا ، وقدرًا كبيرًا ، فعَلاَ قدره ، وعظم شأنه ، وظهر تفوّقه ، وذاع صيته (1) .

فأقبل عليه طلاب العلم من داخل مدينته ومن خارجها ، وأكبّوا عليه وعكفوا الرّكب إلى ركبته ، وحرصوا أشدّ الحرص على الاستفادة منه ، والغَرْفَ من علمه ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ثمّ إنّ زملاءه في الدّرب ، لمّا رأو تفوّقه في الدّراسة ، وحدّة ذكائه ، وفطنته ونبوغه ، صاروا يتتلمذون عليه وهو لا يزال مثلهم في سنّ مبكر فأصبح بذلك متعلمًا ومعلمًا ، ومؤدّبًا ومربّيًا ، وناصحًا ومستنصحًا .

ولمّا بلغ من العمر ثلاثا وعشرين سنة جلس للتدريس ، فكان يتعلم ويعلم ويقضي أوقاته في ذلك ، وفي الإنكباب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية (2) ومؤلفات تلميذه ابن القيّم (3) بتمعّن وتفهّم ، فانتفع بهذه المؤلفات غاية الانتفاع .

وفي عام ألف وثلاثمائة وخمسين من الهجرة ، انتهت إليه المعرفة التامّة ورئاسة العلم في القصيم (4) ، فاشتهر علمه ، وارتفع قدره ، فأقبل أهل ناحية القصيم على القراءة عليه وتلقي العلوم والمعارف عليه (5) .

---

(1): الشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرّزّاق بن عبد المحسن العبّاد ، ص 38 ـ 39 .

(2) (3): ينظر ص 29 .

(4): ينظر ص 6 .

(5): مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرّحمن بن عبد اللّطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 393 .

ثانياً : طريقته ونظامه في التّدريس .

كانت طريقته في التدريس من أروع الطّرق وأحسنها ، وهي طريقة فريدة من نوعها ، حيث ـ رحمه الله ـ حريصًا أشدّ الحرص على نفع تلاميذه وطلبة العلم الذين يتوافدون عليه من كلّ حدب وصوب ، ولا يخفي على أيّ أحد أنه أخذ هذه الطريقة من شيخه محمّد الأمين الشّنقيطي (1) ـ رحمه الله ـ ، والتي سأبيّنها في النقاط الآتية :

1 ـ أنه في الجلسة الواحدة يجمع طلبتَه كلهم على كتاب واحد ، وبالتحديد في العلم الذي سيدرّسه إيّاهم .

2 ـ يقرأ العبارة ، ثمّ يقوم بتوضيح معناها توضيحًا تامًّا ، ثمّ يذكر دليلها ، وكذا الحكمة من تشريعها ، فإن كان يرى ذاك القول أقرّه ، وإن كان يرى غيره ذكر الثاني بنفس الطريقة الأولى ، ثمّ يأخذ بنصر القول الذي يراه مع بيان أدلته ، ويوهن القول الذي لا يراه ، حتى يرى الطالب الرّأي الذي يراه هو .

3 ـ يختبر فهمهم وحفظهم ، وذلك بطرح المسائل عليهم في الجلسة .

4 ـ يطرح عليهم ما مضى من الدّروس السّابقة ، ليرى مدى تذكيرهم أيّاها ، وهذا لِيلا ينسوها .

5 ـ كان يثمّن جهود تلاميذه في حبّهم للعلم وأهله ، ويحفزهم على ذلك ، ويبعث فيهم روح المنافسة والمسابقة .

6 ـ يعطي الجوائز الثمينة للطلبة الذين يحفظون المتون العلمية ، وذلك لتشجيعهم وإقدامهم على زيادة الحفظ ، كما كان يحمل معه جوائز أثناء درسه ، ليكافئ بها مَن هو أسرع فهمًا من طلبته ، وكذلك مَن هو أسرع إجابة على الأسئلة التي تدور في الحلقة ، ليقدّمها له في الحين .

7 ـ كان يتعمّد أحيانًا ويقصد الوقوع في الغلط ، ليرى مَن هو حاضر الذّهن ومَن هو شارد الذهن ، لينبّههم من الغفلة والتيه (2) .

---

(1): محمّد الأمين بن محمّد المختار الجنكي الشّنقيطي ، ولد بقرية شنقيط من دولة موريتانيا سنة 1325 هـ الموافق لـ 1905 م ، حفظ القرآن وعمره عشر سنوات ، ومن بين مؤلفاته وأشهرها وأبرزها : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، توفي ضحى يوم الخميس 17 ذي الحجّة 1393 هـ بمكة المكرّمة ـ رحمه الله تعالى ـ ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ص 280 .

(2): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 223/3 ـ 225 ، بتصرّف .

8 - يبيّن لهم الصّحيح من المسائل الخلافيـة التي يطرحهـا بين ثنايـا درسـه ، ويـرجّـح ذلك بالأدلة .

9 - بعد فراغه من إلقاء الدّرس ، يطلب ثلاثة من تلاميذه أن يعيدوا ما فهموه له من شرحـه الذي ألقاه عليهم في تلك الجلسة ، ليدرك مدى استيعابهم للدّرس .

كلّ هذا بأسلوب واضح وترتيب مستقيم ، بحيث إنّ تفهيمه لا ينخفض عن مستـوى الطالـب المدرك ، ولا يرتفـع عن مستـوى الطالب المبتـدئ ، فالكـلّ منه يستفيـد ، هـذه طريقتـه فـي درسه (1) .

أمّا نظامه في الـتّدريس ، فكان يقـدّم دروسه في كلّ العلـوم من بعـد طلـوع الشّمـس ، وفـي الضّحوة ، وقبل صلاة العصر وبعدها ، ومن بعد المغرب إلى العشاء ، هكذا كلّ يوم (2) .

ثالثاً : مصادر علمه .

لكـي نعـرف مصـادر الشّيخ ـ رحمه الله ـ في العلـوم التي نهـل منهـا ، لا بـدّ أن نقـف على طريقة التعليم المتبعة في العهد الذي عاشه .

فقد كان التعليم وقتئذ يخضع لنظـام الحلقـات ، وهو أن يجلس الشّيـخ المقصـود للـتعلـيم في المسجـد أو البيـت ، ويتحلـق حوله الطلاب وبعـد أن يتـمّ الطالب حفـظ القرآن الكريـم علـى الأغلب ، يلتحـق بهـذه الحلقات على اختلاف موادّها حسب رغبته لكلّ مادّة ، فهناك حلقات لتعلـيم الفقـه ، وأخـرى للأصـول ، وثالثة للـتفسيـر ، ورابعـة للقـراءات ، وخامسـة لعلـوم القرآن ، وسادسة لعلـوم الحديث روايـة ، وسابعـة للحديـث الشّريـف دراية ، وثامنة للنحو، وتاسعة للبلاغة ، وعاشرة للفرائض ، وهلمّ جرّا .

ومن المعروف في كلّ متصدّر للعلم أن يكون على الغالب التحق بكلّ هذه الحلقات ، ليكون ضليعًا في شتى الفنون ، خاصّة وأنها بمجموعها تعتبر وحـدة موضوعيـة ألا وهـي العلـوم الإسلامية .

فالشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي كان قد التحـق بهذه الحـلقـات التي تعتبر مصـدر علمـه ، (3)

---

(1): المرجع السّابق ، 3/ 223 ، وروضـة الناظريـن عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بـن عثمان القاضي ، 222/1 - 223 .

(2): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 224/3 .

(3): الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، لعبد الله بن سابح بن صالح الطّيار ، ص 48 ـ 49 .

وتتلمذ على عدد من المشايخ ، كما سيأتي ذكرهم في المطلب الثالث ، وتفوّق في كثير من العلوم ، وعلى الأخصّ في علم التفسير ، وجالس أهل العلم ، وأخذ عنهم مختلف الفنون ، حتى أصبح موسوعة علمية لمختلف المعارف الإسلامية (1) .

رابعاً : مصادر تدريسه .

لو تفحّصنا جيّدًا للحلقات التي كان يلقي فيها الشّيخ دروسه لتلاميذه ، ونظرنا في الكتب التي كان يلقي منها ، وذلك ليتغذى العقل بها ، كما يتغذى الجسم بالطعام ، لوجدناها كثيرة، ولكن نذكر في هذا المقام ، ما تيسّر منها ، وهي على النحو الآتي :

1 - ففي علم التوحيد : شرح الطحاوية ، وكتاب التوحيد ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية(2)، وتلميذه ابن القيّم (3) ، والشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب (4) ـ رحمهم الله ـ .

2 - وفي علم الفقه : المنتهى وشرحه ، ومتن الزّاد وشرحه .

3 - وفي علم الحديث : المنتقى ، وبلوغ المرام .

4 - وفي علم النحو : الألفية ، وشرح ابن عقيل ، والقطر ، وشرح المؤلف (5) .

الفرع الثّاني : مذهبه ونظرته العلمية .

أوّلاً : مذهبه الفقهي .

كان الشّيخ ـ رحمه الله ـ ذا معرفة تامّة بعلم الفقه وأصولَه ، وفي بداية أمره كان متبعًا للمذهب الحنبلي ، ومتمسّكًا به أيّ تمسّك ، وكانت له اطلاعات واسعة في هذا العلم ، وبالتحديد في مؤلفات الفقه الحنبلي ، كما كان يطلع بين الفينة والأخرى في كتب الخلاف في هذا المذهب .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 49 .

(2) (3): ينظر ص 29 .

(4): محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان بن علي بن محمّد بن أحمد ، ولد سنة 1115 هـ ، تعلم القرآن وحفظه عن ظهر القلب قبل بلوغه عشر سنين ، وكان في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام ، ومن بين كتبه وأشهرها : كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد ، توفّي سنة 1206 هـ وقد بلغ من العمر 92 سنة ، ينظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ، ص 302 .

(5): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 224/3 .

وما إن تقدّمت به الدّراسة شوطًا حتى تفتحت أمامه آفاق العلم ، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي ، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد ، التي فتقت ذهنه ، ووسّعت مداركه ، فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيّد ، فصار يرجّح من الأقوال ما رجّحه الدّليل ، وصدّقه التعليل (1) .

إلى جانب هذا ، فقد كاتب علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور ، حتى صار لديه محاولة لتطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات ومكتشفات هذا العصر وحوادثه ، ممّا يظهر أسرار الشّريعة واتصالها بما يجِدُّ في العصر الحديث (2) .

وعلى هذا يتبيّن لنا أنّ الشّيخ خرج من باب التقليد المقيّد ، إلى باب الاجتهاد المطلق .

ثانياً : مذهبه العقدي .

مَن تتبّع سيرة الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، وقرأ كتبه في العقيدة ، فإنه سيجده لا محالة قد نهج منهج السّلف الصّالح ـ رحمهم الله ـ ، واقتفى آثارهم ، واتبع خطاهم ، وذلك بالتلقي من منبعها الأصلي ، كتاب الله ، وسنّة رسوله ﷺ ، وفهم السّلف الصّالح .

فلقد أولى الشّيخ ابن سعدي العقيدة الإسلامية عناية بالغة واهتمامًا كبيرًا , فدرس العقيدة وتلقاها على عدد كبير من العلماء ، ... واعتنى بكتب المتقدّمين من سلف هذه الأمّة ... فكان له دور كبير في تمكنه من هذا العلم ، ولا أدلّ على ذلك من الكتب التي ألفها في هذا الفن .

ثمّ إنه ـ رحمه الله ـ اعتنى بعد ذلك بالعقيدة تدريسًا وتأليفًا ، فكان في دروسه التي يلقيها على الطلاب يعتني بتدريسهم العقيدة الإسلامية الصّافية ، المأخوذة من الكتاب والسّنة ، الخالية من شوائب الشّرك والبدع والخرافات ، وكان كذلك في مؤلفاته يعتني بأمر العقيدة ، فأكثر فيها التأليف شرحًا وتوضيحًا وتقريرًا وتأصيلًا وردًّا على المخالفين ، وغير ذلك من الجهود الكبيرة التي قام بها نصرة لهذه العقيدة (3) .

فنجده يقول ـ رحمه الله ـ في بيان خلاصة عقيدة أهل السّلف الصّالح المستمدّة من الكتاب

---

(1) (2): المرجع السّابق ، 3/ 220 .

(3): الشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرّزّاق بن عبد المحسن العبّاد ، ص 47 .

والسّنة ، وهي : (أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه ، فيشهدون أنّ الله هو الرّبّ الإله المعبود ، المتفرّد بكلّ كمال ، فيعبدونه وحده مخلصين له الدّين ...) (1) .

ثالثاً : نظرته للعلم .

لقد تكلم الشّيخ ـ رحمه الله ـ عن العلم كثيرًا ، وبيّن فضله ومنزلته و أثره الذي يتركه في الفرد والمجتمع ، وما الآداب التي يجب أن يتحلى بها حامله ، وما الفوائد التي يجنيها العبد في دنياه وأخراه .

وسأعرض إليك ـ أخي الكريم ـ بعضًا من أقواله في ذلك ، ومنها : (... فإنّ العلم نور يستضاء به في الظلمات ، وحندس الجهالات ، فكلما ازداد علمًا ازداد نورًا بمعرفة الحقّ من الباطل ، والهدى من الضّلال ، والحلال من الحرام ، والصّحيح من الفاسد ، وعرف مراتب الأشياء وطرق الخير من الشّرّ ، فالعلم عبادة تجمع عدّة قربات : التقرّب إلى الله بالاشتغال به ، ... والاستكثار من ميراث النبيّ ﷺ ، ... ونفعه واصل لصاحبه ، ومتعدّ إلى غيره ، ... وكلما ذاق طالب العلم لذة فهمه ، وحُسْن مأخذه ، ازدادت رغبته ، وقوي فهمه ، ... ورجوع المعلم إلى فهم المتعلم حيث يكون أقرب إلى الصّواب أدلّ شيء على فضيلته ، وعلوّ مرتبته ، وحسن خلقه ، وإخلاصه لله تعالى ، وإذا لم يصل إلى هذا الحال ، فليعوّد نفسه ذلك ، وليتمرّن عليه ، فإنّ المزاولات تعطي الملكات ، والتمرينات ترقى صاحبها لدرج الكمالات) (2) .

ويقول أيضًا : (العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يصحبك في دورك الثلاث ، في الدّنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد ، ... والاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات ، وأجلّ القربات ، مذاكرة العلم تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعلمه وتعليمه ودراسته توجب رضا ربّ العباد ، ... لولا العلم لكان الناس كالبهائم في ظلمات الجهالة ، ... العلم هو النور في الظلمات ، وهو الدّليل في المتاهات والشّبهات ، وهو المميّز بين الحقائق ، وهوالهادي لأكمل الطرائق ، بالعلم يرفع الله العبد درجات ، وبالجهل يهوي إلى أسفل الدّركات) (3) .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 43 .

(2): الفتاوى السّعدية ، عبد الرّحمن الناصر السّعدي ، ص 100 - 101 .

(3): الرياض الناضرة والحدائق النيّرة الزّاهرة في العقائد والفنون المتنوّعة الفاخرة ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 68 - 69 - 70 - 71 ، ط 1/ 1426 - 2005 ، دار المنهاج .

ثانياً : نظرته للعلماء.

لقد تكلم الشّيخ ـ رحمه الله ـ كثيرًا عن فضل العلماء الأجلاء ، ومدى احترامهم الكبير من قِبل المتعلمين الفضلاء ، والآداب التي يتحلون بها في حضرتهم وفي غيبتهم .

وممّا قاله ـ رحمه الله ـ : (وينبغي للمتعلم أن يحسن الأدب مع معلمه , ويحمد الله إذ يسّر له مَن يعلمه من جهله ، ويحييه من موته ، ويوقظه من سِنَتِه ، وينتهز الفرصة كلّ وقت في الأخذ عنه ، ويكثر من الدّعاء له حاضرًا وغائبًا ، ... وأيّ معروف أعظم من معروف العلم ، وكلّ معروف ينقطع إلا معروف العلم والنصح والإرشاد) (1) .

وقوله أيضًا : (وعلى المتعلم أن يوقر معلّمه ويتأدّب معه غاية ما يقدر عليه ، لما له من الحقّ العام والخاصّ ، أمّا العام ، فإنّ معلم الخير قد استعدّ لنفع الخلق بتعليمه وفتواه ، فحقه على الناس حقّ المحسنين ، ولا إحسان أعظم وأنفع من إحسان مَن يرشد الناس لأمر دينهم ويعلمهم ما جهلوا ، وينبّههم لما عنه غفلوا ، ويحصل من الخير وانقماع الشّرّ ، ونشر الدين والمعارف النافعة ، ... فهو النور الذي يهتدى به في الظلمات ، والحياة للقلوب والأرواح والدّين والدّنيا ، والبلد الذي ليس فيه مَن يبيّن للناس أمور دينهم ، ويرشدهم لما ينتابهم ، ممّا هم في غاية الضّرورة إليه ، قد فقد أهله من ضروراتهم ومصالحهم ما يضرّ فقده بدينهم ودنياهم ، فمَن كان هذا إحسانه ، وأثره على الخلق ، كيف لا يجب على كلّ مسلم محبّته وتوقيره ، والقيام بحقوقه ؟!

وأمّا حقه الخاصّ على المتعلم ، فلما بذله من تعليمه والحرص على ما يرشده ويوصله إلى أعلى الدّرجات ، فليس نفع الآباء والأمّهات نظيرًا لنفع المعلمين ، المربّين للناس بصغار العلم قبل كباره ... وإذا كان من أحسن الناس إلى الإنسان بهديّة ماليّة ينتفع بها ثمّ تزول وتذهب له حقّ كبير على المحسن إليه ، فما الظنّ بهدايا العلم النافع الكثيرة المتنوّعة ، الباقي نفعها ما دام العبد حيًّا وبعد مماته , ...) (2) .

ويقول : (وعلى المعلم النصح للمتعلم بكل ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم إدراكه ، وعلى عدم أدبه وجفائه ، مع شدّة حرصه وملاحظته لكلّ ما يقوّمه ويهذبه ويحسن أدبه ، لأن المتعلم له حق على المعلم حيث أقبل على الاشتغال بالعلم الذي ينفعه وينفع الناس ، ... فالمعلم مأجور على نفس تعليمه سواء فهم المتعلم أم لم يفهم ، فإذا فهم(3)

---

(1): الفتاوى السّعدية ، عبد الرّحمن الناصر السّعدي ، ص 101 - 102 .

(2): المرجع نفسه ، ص 625 - 626 .

(3): المرجع نفسه ، ص 625 .

ما علمه ، انتفع به بنفسه ونفع غيره ، كان أجرًا جاريًا للمعلم ما دام ذلك النفع متسلسلا متصلا ، وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون ، فعلى المعلم أن يسعى سعيًا شديدًا في إيجاد هذه التجارة وتنميتها) (1) .

فهذا من زاوية فضل العلم وأهله ، أمّا إذا ذهبنا إلى زاوية تأثره بالعلماء ، فإنّنا نجده قد تأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية (2) وتلميذه ابن القيّم (3) ـ رحمهما الله ـ , وكان كثيرًا الاطلاع على مؤلفاتهما ، ممّا أدّى به إلى استخلاص القواعد والضّوابط والأصول المحيطة في كلّ فن من الفنون ، حتى أخرج لنا كتابًا في ذلك أسماه : طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضّوابط والأصول .

ويكمن تأثره بهما من عدّة جوانب أبرزها :

* العناية بكتبهما والانكباب على القراءة فيها ، وحثه الدّائم لتلاميذه على الاطلاع فيها .

* الثناء عليهما وعلى مؤلفاتهما في كتبه .

* عنايته بالتأليف حول كتبهما ، إمّا شرحًا وتوضيحًا ، أو نثرًا أو تلخيصًا .

ممّا جعله يمدحهما ويمدح مؤلفاتهما في كثير من مجالسه ودروسه اليومية .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 625 .

(2) (3): ينظر ص 29 .

المطلب الثّالث : شيوخه وتلاميذه .

الفرع الأوّل : شيوخه ومعلميه .

تلـقى الشّيخ عبد الرّحمن آل سعدي ـ رحمه الله ـ العلوم النافعة ، عن علماء بلدته خصوصًا والعلمـاء الوافدين إليها عمومًا ، ولذكر كُـلُّ شيوخه يطول بنا المقام ، ولكن اقتصرت على البعض منهم ، مع ذكر ترجمـة مختصـرة لكـلّ واحـد من هـؤلاء الأفـداد ، إضافـة إلى ذلك فإني سـوف أرتبهـم حسب سنـة الوفـاة ، فقـدّمت الأوّل في الوفـاة ثـمّ الذي يليه ، وهـم على النسق الآتي :

1 ـ عبد الله بـن عائـض : ولـد في مدينـة عُنيزة (1) سنة 1249 هـ ، وتعلـم مبـادئ القـراءة والكتابـة في بلـده ، ثـمّ رحل إلى مكة المكرّمة (2) لطلب العلـم ، وبعـد ذلك عـاد إلى وطنـه فشـرع في قراءة الفقه والعلـوم الشّرعيـة على علماء وطنه ، كان إمامًا وواعظًا ومدرّسًا ، عيّن قاضيًا بمدينته سنة 1308 هـ إلى غاية سنة 1317 هـ ، ومن بين مشايخــه : العــلامة عبد الرّحمن سـراج مفتي الأحنـاف بمكـة (3) ، ومـن بين تلاميـذه : الشّيخ عبد الرّحمـن بـن سعــدي ، والشّيخ صـالح بن عثمان القاضي ، توفي ضحى يوم الجمعة 22شـوّال 1322 هـ بمدينته ، ودفن بمقبرة الطعيمية ـ رحمه الله ـ (4) ، وقد أخذ عنه وقرأ عليه علوم العربية (5)

2 ـ محمّد بن عبد الله بن حمد بن محمّد بن صالح بن حمد بن محمّد بن سليم : ولد بمدينة بريدة (6) سنة 1240 هـ ، ونشأ وتعـلم مبادئ الكتابـة والقـراءة في كتاتيبهـا ، ثـمّ حبّـب إليه العلم فشرع في القراءة على علماء القصيم (7) ، ومن بين شيوخه : الشّيخ سليمان بن مقبـل ومن بين الذين تخرّجوا على يـده : ابنـاه الشّيـخ عبد الله ، والشّيـخ عـمـر ، سافـر إلى مكـة المكرّمة (8) سنة 1296 هـ مظهرًا لأميربلدتـه (9) أنـه يريـد العمـرة ، توفي سنة 1325 هـ وقيل سنة 1326 هـ ـ رحمه الله ـ (10) .

---

(1): ينظر ص 2 .

(2) (3) (8): ينظر ص 29 .

(4): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 4/ 184 - 185 - 186 - 192 .

(5): روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 220/1 .

(6) (7): ينظر ص 6 .

(9): وهو حسن آل مهنا .

(10): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 6/ 150 - 151 - 153 - 158 .

3 ـ إبراهيم بن حمد بن عبد الله بن جاسر : ولد في بريدة (1) سنة 1241 هـ ، نشأ فيها وحفظ القرآن وأتقنه ، ثمّ شرع في طلب العلم على علماء مدينته ، ومن بينهم : الشّيخ محمّد بن عمر بن سليم ، ويقال إنه كان يحفظ الصّحيحين ، ولي قضاء عُنيزة (2) سنة 1318 هـ إلى غاية 1324 هـ ، ثمّ بعدها قضاء بريدة (3) سنة 1324 هـ إلى غاية 1326هـ ومن بين تلاميذه : الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصرآل سعدي ، والشيخ عبد العزيز بن عقيل ، توفّي بالكويت ودفن بها سنة 1338 هـ وله من العمر سبع وتسعون سنة ـ رحمه الله ـ (4) ، وقد قرأ عليه في الحديث (5) .

4 ـ صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن آل قاضي : ولد في عُنيزة (6) ربيع الآخر سنة1282 هـ ، وكان في شبابه مولعًا بالشّعر والتاريخ والأنساب وعلم الفلك ، حتّى أدرك من ذلك منزلة عالية ، ثمّ اتّجه إلى طلب العلم الشّرعي ، فسافر إلى القاهرة سنة 1307 هـ لطلب العلم ، وشرع في التدريس سنة 1317 هـ , ومن بين مشايخه : الشّيخ العلّامة أبو الطيّب شمس الحقّ العظيم آبادي الهندي ، ومن بين تلاميذه : الشّيخ عبد الرحمن السّعدي ، وابنه الشّيخ عثمان بن صالح آل قاضي ، توفي في 25 ربيع الآخر سنة 1351 هـ ـ رحمه الله ـ (7) , وقد قرأعليه في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله والنحو (8) .

5 ـ محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد المختار بن كرير بن الموفي بن الأمين جاكن : وجاكن الذي ينسب إليه الشّيخ هو جدّ القبيلة المسمّاة بالجكنيّين ، وترجع نسبتها إلى قبيلة حمير ، ولد الشّيخ 1325 هـ بشنقيط من الدّولة الإسلامية العربية الموريتانية ، حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات ، وقد وهبه الله ثلاث هبات جعلته مع توفيق الله إمامًا كبيرًا في العلم ، وهي :

* حافظة واعية ، فإنه ما مرّ عليه علم ، إلا وهو مخزون محفوظ ، يحضره متى أراد .

* فهم ثاقب يحلّ به كلّ ما يعسر على غيره من المسائل .

---

(1) (3): ينظر ص 6 .

(2) (6): ينظر ص 2 .

(4): المرجع السّابق ، 1/ 277 - 278 - 284 - 286 - 290 .

(5) (8): مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرّحمن بن عبد اللّطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 292 .

(7): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 2/ 517 - 518 - 519 - 520 .

* صبر وجَلدٌ على تحصيل العلم ، فلا يملّ ولا يكلّ من متابعة العلم وتحصيله ، فالعيش والرّاحة ما هي إلاّ وسيلة وتقوٍّ عليه .

يضاف إلى هذا بساطة في العيش وشئون الحياة ، فليس لديه عن العلم ما يلهيه ، فهو همّه وسلوته .

وبذلك استوعب كثيرًا من العلوم الشّرعية من توحيد وتفسير و ... وفلسفة ، وهكذا حتى صار موسوعة كبرى تحمل جلّ العلوم .

قدم مكة (1) سنة 1365 هـ قاصداً حجّ بيت الله الحرام ، ونيّته في ذلك العودة إلى بلاده ، إلا أنّ قدر الله كان له البقاء في جوار الحرم ، ومن مؤلفاته : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ومن بين تلاميذه :الشّيخ محمّد عطية سالم ، توفي ضحى الخميس 17 من ذي الحجّة سنة 1393 هـ بمكّة (2) ودفن بها ـ رحمه الله ـ (3) ، وقد قرأ عليه علوم العربية (4)، كما قرأ عليه التفسير والحديث ومصطلح الحديث (5) .

ولتمام الفائدة ، أو التوسّع في معرفة شيوخه ، يراجع علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، وكذا روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، وأيضًا مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشّيخ .

وبهذا يتبيّن لنا أنّ الشّيخ ـ رحمه الله ـ قد تلقى على عدد كبير من العلماء والمشايخ ، الذين كانوا آنذاك كالطود الشّامخ ، حتى صار موسوعة علمية في منطقته كلها .

---

(1) (2): ينظر ص 29 .

(3): المرجع السّابق ، 6/ 371 - 372 - 373 - 374 - 377 - 378 .

(4): روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، لمحمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، 220/1 .

(5): مشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 293 .

الفرع الثّاني : تلاميذه .

لقد تخرّج على يد الشّيخ ـ رحمه الله ـ خلق كثير من طلبة العلم ، وقد ذكر الشّيخ عبد الله بن صالح آل بسّام في كتابه (علماء نجد خلال ثمانية قرون) مائة وخمسين تلميذًا ، وذِكْرهم بالجملة من الصّعوبة بمكان ، لذلك سوف أقتصر على ذكر ثلة قليلة منهم فقط ، مع ترجمة موجزة لكلّ واحد منهم ، وهم كالآتي :

1 ـ الشّيخ سليمان بن إبراهيم بن محمّد بن سليمان بن عبد العزيز بن سليمان بن حمد آل بسّام : ولد في 27 صفر سنة 1328 هـ بمدينة عُنيزة (1) ، واشتغل بالعلم منذ صغره ، وكان ملازمًا لدروس الشّيخ السّعدي ـ رحمه الله ـ ولا يتغيّب إلا ناذرًا , ومن بين مشايخه: العلامة عبد الرّحمن السّعدي ، والشّيخ عبد العزيز الصّالح البسّام ، ومن بين تلاميذه : الشّيخ عبد الله بن عقيل , توفي في 14 ربيع الثاني 1377 هـ ـ رحمه الله ـ (2) .

2 ـ الشّيخ محمّد بن عبد العزيز بن عبد الله المطوّع : ولد في عُنيزة (3) سنة 1317هـ ، ونشأ بها وقرأ على علمائها ، حكم قضاء بلدته سنة 1375 هـ ، ومن بينم مشايخه : الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي ، الشّيخ سليمان بن عبد الرّحمن العمري ، ومن بين تلاميذه : الشّيخ محمّد السّليمان الشّبل ، توفي بلندن ودفن بها تنفيذًا لوصيّته في 18 رجب سنة 1387 هـ ـ رحمه الله ـ (4) .

3 ـ محمّد بن صالح بن محمّد بن سليمان بن عبد الرّحمن العثيمين : ولد في ليلة 27 من رمضان المبارك سنة 1347 هـ في مدينة عُنيزة (5) ، حفظ القرآن في سنّ مبكر على يد جدّه من جهة أمّه عبد الرّحمن بن سليمان الدّامغ ، وهو الذي قام بعد وفاة شيخه بالإمامة في الجامع الكبير بعُنيزة (6) ، ومن بين شيوخه : الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي ، والشّيخ عبد الرّزّاق عفيفي ، توفي قبل المغرب من يوم الأربعاء 15 شوّال سنة 1421 هـ ـ رحمه الله ـ (7) .

---

(1) (3) (5) (6): ينظر ص 2 .

(2): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 2/ 265 - 266 - 268 .

(4): المرجع نفسه ، 6/ 78 - 79 - 80 - 81 - 82 .

(7): المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر، ص 298 .

4 ـ الشّيخ علي بن حمد بن محمّد بن صالح بن عبد الله الصّالحي : ولد في عنيزة (1) سنة 1333 هـ فتعلم في صباه مبادئ الكتابة والقراءة ، ثمّ بعد ذالك شغف بطلب العلم ، فلازم علماء بلده ، قام بتأسيس مكتبة عامّة في نجد (2) ، وفي سنة 1358 هـ قام بتأسيس مكتبة جامع عُنيزة (3) ، وأنشأ مطبعة سمّاها : مطبعة النّور، ومن بين شيوخه : سليمان العمري، ومن بين تلاميذه : الأستاذ إبراهيم المحمّد السّبيل ، توفي في مسقط رأسه يوم الأربعاء 21 جمادى الأولى 1415 هـ ـ رحمه الله ـ (4) .

5 ـ الشّيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن محمّد الغرير : ولد بمدينة عُنيزة سنة1322 هـ ، شرع في طلب العلم منذ صباه ، فحفظ القرآن عن ظهر قلب ، ومن بين شيوخه : عبد الله الطرودي ، توفي في بلده سنة 1401 هـ ـ رحمه الله ـ (5) .

وآخرون كثير ، لا يسع المقام لذكرهم ، وهكذا نجده ـ رحمه الله ـ قد تخرّج على يده مجموعة كثيرة من الطلبة ، كان لهم الاثر البالغ في تكوين الأجيال التي جاءت من بعدهم .

فهم الذين تولوا التدريس في المدارس والمعاهد التي فتحتها الدولة ، فكان الشّيخ يكتب بيده شهادة يقول فيها : إنّ فلانًا درس علوم كذا وكذا في كتب كذا وكذا ، وهو يصلح لتدريس هذه المواد في المستوى الابتدائي أو المتوسّط أو الثانوي ، وتأخذ الدّولة بشهادات الشّيخ التي أثبتت التجربة فيما بعد ، أنّها معبّرة عن الحقيقة أصدق تعبير (6) .

---

(1) (3): ينظر ص 2 .

(2): ينظر ص 8 .

(4): علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 5/ 180 - 181 - 182 - 183 - 184 .

(5): المرجع نفسه ، 1/ 337 - 338 .

(6): المرجع نفسه ، 3/ 224 .

المطلب الرّابع : مؤلّفاته وتصانيفه .

لقد أثرى الشّيخ ـ رحمه الله ـ المكتبة الإسلامية والعربية بمختلف المصنفات ، في شتى الفنون والعلوم ، وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدلّ على أنّ له اليد الطولى في الكتابة والتأليف ، ونلمس ذلك من خلال تصانيفه التي تركها .

فمؤلفاته تربو عن الأربعين مؤلفًا ، وسأعرضها هنا حسب العلم الذي أُلفت فيه .

أوّلاً : في علوم القرآن .

1 ـ تفسيره للقرءان الكريم ، والمسمّى بـ : تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنان ، وهو في ثمانية مجلدات ، وقد أكمله سنة 1344 هـ ، وطبع عدّة مرّات .

2 ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن ، كذلك طبع عدّة مرّات .

3 ـ الدّلائل القرآنية في العلوم العصرية .

4 ـ المواهب الرّبّانية من الآيات القرآنية ، وقد جمعها أثناء قراءته لكتاب الله تعالى في شهر رمضان سنة 1347 هـ ، وطبع عدّة مرّات .

5 ـ فوائد مستنبطة من قصّة يوسف ، تقع في أربعين صفحة .

6 ـ تيسير اللّطيف المنّان في خلاصة تفسير القرآن ، طبع عدّة مرّات .

ثانياً : في العقيدة .

1 ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضّوابط والأصول ، وهو عبارة عن قواعد اختارها من كتب شيخ الاسلام وتلميذه .

2 ـ الدّين الصّحيح يحلّ جميع مشاكل الحياة ، طبع على نفقة المؤلف ، ووزّع مجّانًا .

3 ـ الرّسائل المفيدة بأهم المهمّات ، طبع ووزّع مجّانًا .

4 ـ القول السّديد في مقاصد التوحيد ، وهو شرح لكتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد ، للشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب ، وطبع عدّة مرّات .

5 ـ توضيح الكافية الشّافية ، وهو شرح لنونية ابن القيّم .

6 ـ الأدلّة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين ، طبع عدّة مرّات ، بلغت صفحاته خمسة وتسعون صفحة .

7 - الدرّة المختصرة في محاسن الإسلام .

8 - الحقّ الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء المرسلين ، طبع كذلك على نفقة المؤلف، ووزّع مجّانـًا .

9 - الرّيّاض الناضرة والحدائق النيّرة الزّاهرة في العقيدة والفنون المتنوّعة الفاخرة ، طبع كذلك عدّة مرّات ، وبلغت صفحاته ثمانية وسبعون ومائتان صفحة .

10 - تنزيه الدّين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله ، وطبع عدّة مرّات ، وبلغت صفحاته أربعة وثمانون صفحة .

11 - منظومة في السّير إلى الله والدّار الآخرة ، وشرحها الشّيخ ـ رحمه الله ـ .

12 - الفروق والتقاسيم البديعة والنافعة ، طبع على نفقة الشّيخ ووزّع مجّانـًا .

13 - شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ، والتي ردّ بها على القدرية ، وهذا لم يطبع .

14 - الوسائل المفيدة في الحياة السّعيدة ، طبع ووزّع مجّانًا , وهي رسالة صغيرة ، بلغت صفحاتها اثنان وثلاثون صفحة .

15 - فتح الرّبّ الحميد في أصول العقائد والتوحيد .

16 - التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، وهذا طبع لأوّل مرّة بالقاهرة .

17 - مجموعة الفوائد واقتناص الأوابد ، وهذا لم يطبع .

18 - التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ، وهذا لم يطبع.

ثالثاً : في الفقه وأصوله .

1 - منظومة في أحكام الفقه ، وقد فرغ من تأليفها سنة 1333هـ ، وطبعت بعد ذلك .

2 - مختصر في أصول الفقه ، وطبع هذا مع كتابه منهج السّالكين وتوضيح الفقه في الدّين سنة 1378 هـ .

3 - حاشية على الفقه ، وهو عبارة عن استدراكات على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي ، وهذا لم يطبع بعد .

4 - منهج السّالكين وتوضيح الفقه في الدّين ، طبع ووزّع مجّانـًا .

5 - المناظرات الفقهية ، طبع في مجلد واحد .

6 - المختارات الجلية من المسائل الفقهية ، وهذا طبع بالقاهرة .

7 - إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطّرق وأيسر الأسباب بطريق مرتّب على السّؤال والجواب ، وقد فرغ من تأليفه سنة 1358 هـ .

8 - وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الدّيني ، وهذا قد طبع .

9 - حكم شارب الدّخّان ، وطبعت عدّة مرّات ، وهي رسالة صغيرة ، بلغت عدد صفحاتها حوالي عشرين صفحة .

10 - منظومة في القواعد الفقهية ، مع شرحها ، وقد فرغ من تأليفها سنة 1331 هـ .

11 - الجهاد في سبيل الله ، وهي رسالة قصيرة تزيد عن عشرين صفحة ، وقد طبعت عدّة مرّات .

12 - الفتاوى السّعدية ، وتقع في مجلد ضخم .

رابعاً : في الحديث وعلومه .

1 - بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، وقد طبع في القاهرة سنة 1372 هـ .

خامساً : في الخطب والفتاوى .

1 - الفواكه الشّهية في الخطب المنبرية ، وقد طبع بمطبعة العلم بدمشق ، ويقع في مائتان واثنان وثلاثون صفحة .

2 - الخطب العصرية (1) .

---

(1): يراجع علماء نجد خلال ثمانية قرون ، لعبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، 3/ 225 - 226 - 227 ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ، لعبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ص 394 - 395 - 396 .

فهذه بعض وأهم كتب الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، وهناك مؤلفات أخرى ، وهي عبارة عن رسائل وفتاوى ، والتي في مجموعها تدلنا على خِفة الرّجل ، وغزارة علمه ـ وهذا فضل الله يوتيه مَن يشاء من عباده ـ .

وبعد هذه الجولة التي عشناها مع الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر آل سعدي ، في هذا الفصل الأوّل مع حياته الشّخصية والعلمية ، وهذه الشّخصية الفذة ، وقبل ولوجنا للفصل الثاني ،

حيث لمحنا كيف أنّ الله ـ سبحانه ـ هيّأ له جميع الظـروف التي كوّنت منه عالمًـا فريـدا من نوعه ، حتى أصبح منارة علم في منطقته .

ولا أجد ما أقدّمه للعلماء الأجـلاء على وجه العمـوم ، وللشّيـخ عبـد الرّحمن السّعـدي علـى وجـه الخـصـوص ، إلا أن أدعـوا له ولهـم ، وأسأل الله بمنّـه وكـرمـه أن يرحمـهـم رحمـة واسعة ، وأن يجمعَني وإيّاكم به وبهم في دار كرامته ، إنه خير مسؤول ، وأكرم مأمول .

الـفـصـل الـثّـانــي :

دراسـة الكتابيْن ونماذج من القواعـد التّرجيـح

وفيه مبحثان :

المبحث الأوّل : دراسة عامّة للكتابيْن .

المبحث الثّاني : تعاريف عامّة ونماذج من قواعد التّرجيح.

المبحث الأوّل : دراسة عامّة للكتابيْن .

وقبل ولوجي للمبحث الثاني ، والذي سأتطرّق فيه إلى نماذج من قواعد الترجيح بالنصّ القرآني عند الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، والتي سآخذها من كتابيْه تيسير الكريم الرّحمان ، وقواعد الحسان ، لابدّ عليّ أن أتكلم وأن أعرّج عليهما ، وأن أعرّف بهما في مبحث خاصّ ، وهو أوّل مباحث هذا الفصل التطبيقي ، وقد جعلت دراسة كلَّ كتاب في مطلب على حِدى ، وهي كالآتي :

المطلب الأوّل : دراسة تيسير الكريم الرّحمن .

المطلب الثاني : دراسة قواعد الحسان .

فأبدأ ـ وبالله التوفيق ـ بدراسة المطلب الأوّل .

المطلب الأوّل : دراسة تيسير الكريم الرّحمن .

وقد جعلت هذا المطلب في ستة فروع وهي على النسق الآتي :

الفرع الأوّل : اسم الكتاب .

عُرف تفسير الشّيخ ـ رحمه الله ـ باسم واحد لا ثاني له وهو : (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) .

وقد ذكره تلميذه عبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام (1) في كتابه " علماء نجد خلال ثمانية قرون " (2) واستهلّ به في ذكر مؤلفات الشّيخ ، وسمّاه بهذا الاسم .

كما ذكره تلميذه محمّد بن صالح العثيمين (3) في ثنائه على تفسير شيخه بنفس الاسم (4) .

كما أطلق عليه محمّد بن إبراهيم الحمد صاحب كتاب " ترجمة لتسعة من العلماء " نفس الاسم ، وقال بعد ذكر الاسم : أو ما يسمّى بـ : (تفسير السّعدي) (5) .

---

(1): ينظر ص 44 .

(2): ينظر في الكتاب 3/ 225 .

(3): ينظر ص 44 .

(4): ينظر تفسير السّعدي ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 6 .

(5): ينظر في الكتاب ص 232 .

الفرع الثاني : سبب تأليفه .

قبل أن أذكر السّبب الذي دفع بالمؤلف كتابة هذا التفسير ، أسوق لك هذا المقطع من كلامه والذي ذكره في مقدّمة تفسيره ، لنعرف سويّاً ما السّبب في ذلك ، وإليك ما قاله :

(... وكان حقيقا بالعبد أن يبذل جهده ، ويستفرغ وسعه في تعلمه وتفهّمه بأقرب الطرق الموصلة إلى ذلك .

وقد كثرت تفاسير الأئمّة رحمهم الله لكتاب الله ، فمن مطوِّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود ، ومن مُقْصِرٍ، يقتصر على حلّ بعض الألفاظ اللغوية ، بقطع النظر عن المراد .

وكان الذي ينبغي في ذلك ، أن يجعل المعنى هو المقصود ، واللفظ وسيلة إليه ، فينظر في سياق الكلام ، وما سيق لأجله ، ويقابله بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم ، عالمهم وجاهلهم ، حضريهم وبدويهم ...

فإذا بذل وسعه في ذلك ، فالرّبّ أكرم من عبده ، فلا بدّ أن يفتح عليه من علومه أمورًا لا تدخل تحت كسبه .

ولَمَّا مَن الباري عليّ وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا ، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسّر ، وما مَن به الله علينا ، ليكون تذكرة للمحصّلين ، وآلة للمستبصرين ، ومعونة للسّالكين ، ولأقيّده خوف الضّياع ، ولم يكن قصدي من ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود ، ولم أشتغل في حلّ الألفاظ والعقود ، للمعنى الذي ذكرت ولأن المفسّرين قد كفوا من بعدهم ، فجزاهم الله عن المسلمين خيرًا)(1)

فمن خلال هذا النصّ ، يتبيّن لنا ـ والله تعالى أعلم ـ سبب تأليفه إيَّاه ، والذي يكمن في النقاط الآتية :

1 - عمد إلى إيصال الفهم لكلّ الناس ، وذلك بسيره وأخذه بأسهل السّبل ، واتباعه لأيسر الطرق ، إذ في التفاسير الأولى طول مملّ يُذهب المعنى المطلوب ، أو اختصار مخلّ لايؤدّي الغرض المقصود ، فأراد أن يفسّر كلام الله في حجم متوسّط بين المكثر والمقلّ .

2 - أراد أن يوظف تلك العلوم التي يملكها في تفسير كتاب الله تعالى .

3 - بعد أن انهمك في التفسير ، واشتغل به ، أراد أن يظهر شكر نعمة الله عليه ، وذلك بإخراج هذا التفسير .

---

(1): تفسير السّعدي ، ص 18 .

الفرع الثالث: مدّة تأليفه .

بدأ الشّيخ ـ رحمه الله ـ في تأليف هذا التفسير المبارك سنة 1342 هـ ، وأتمّه سنة 1344هـ هذا يعني أنه بقي في تصنيفه مدّة عامين .

وعلى غرار هذا يظهر أنه قد بدأه وله من العمر خمسة وثلاثون سنة ، وأتمّه وله من العمر سبعة وثلاثون سنة .

والذي يقرأ تفسيره يحسب أنه لا يمكن لمن كان في هذا السّن أن يكتبه ، إذ يمثل كتابة عالم ناضج متمكن من العلم وآلاته ، واسع الاطلاع **{** ذَالِكَ فَضْلُ اللهِ يُوتِيهِ مَن يَّشَآءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ **}** [المائدة : 54] .

وقد كتب نسخة واحدة ثمّ أمر مَن ينسخ له نسخة أخرى ، وعلى هذا يظهر أن زمان الشّيخ لم تكن إلا نسختين فقط ، وهي كالآتي :

النسخة الأولى : وهي التي كانت بحوزة الشّيخ وملكه ، وفي جملتها هي بخط الشّيخ ، وقد جعلها ـ رحمه الله ـ في تسعة مجلدات .

النسخة الثانية : وهي التي أمر ـ رحمه الله ـ النسّاخ بنسخها (1) ، والتي تحتوي على ثمانية أجزاء (2) .

الفرع الرّابع : طبعاته .

كانت فاتحة طباعة هذا التفسير ، فأوّل ما طبع منه هو الجزء الخامس لا غير، وقد فرغ من تأليفه سنة 1343 هـ ، ويرجع السّبب في إفراد هذا الجزء بالطباعة ، هو ما قاله في مقدمة هذا الجزء : (وقد تكرّر عليّ السّؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه ، وألحّوا لِما يرونه من الفائدة الكبيرة ، فاعتذرت بأن ذلك يصعب جدّا ، لأنه مبسوط ، وأيضًا في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطوّلة ، لذلك أحببت إجابتهم لنشر بعض ما طلبوا ، وهو الاقتصار على جزء واحد من أجزاء هذا التفسير , ووقع الاختيار على الجزء الأوسط من سورة الكهف إلى آخر النمل ، فما لا يحصل جميعه لا يترك جميعه ، وقد طبع هذا المجلد سنة 1375 هـ) (3) .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 7 .

(2) (3): المرجع نفسه ، ص 10 .

ثمّ بعد هذه الطبعة للجزء الخامس لوحده ، صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة 1365 هـ بمطبعة الترقي بدمشق ، ووزّع مجّانًا على نفقة المؤلف .

ثـمّ صدرت طبعته الثانية سنة 1375 هـ بالمطبعة السّلفية بالقاهرة ، وكانت هذه الطبعة في ثمانية أجزاء .

ثـمّ أعقبتهـا طبعة أخرى سنة 1376 هـ تحت إشراف المؤسّسة السّعيدية بالرّيّاض ، وكانت في سبعة مجلدات ، ومكان الطبع في مطابع الـدجوى بالقاهـرة ، وتمتـاز هـذه الطبعـة عـن سابقتهـا بزيـادة بعض الـتعليقـات لأحـد علمـاء الأزهـر الشريـف (1) ، وكـذا وضـع الآيـات القرآنية في أعلى الصّفحة (2) .

ثمّ جاءت طبعة أخرى سنة 1434 هـ بمؤسّسة الرّسالة بدمشق ، اعتنى بها وحققها الدكتور عبد الرّحمن بن معـلا اللويحـق ، وأخـرج الكتـاب في حُلـة جديـدة ، حيث قابل النسخة الأمّ والتي معظمها كتبها الشّيخ بيـده ، وبقيت عنده حتى وفاتـه ، وقـد خرجـت هـذه الطبعـة في مجلد واحد ، وأصبحت هي المعتمدة .

وقد جعلت هذه الطبعة هي المعتمدة في بحثي ، لكونها محققة ومخرّجة الأحاديث .

الفرع الخامس : منهج الشّيخ في تفسيره (طريقته) .

أوّلاً : منهجه الأثري .

لقـد ذكـر الشّيـخ ـ رحمه الله ـ الطريقـة التي سلكهـا ونهجهـا في تفسيـره ، ولنسمع إليه ماذا يقول : (اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كلّ آية ما يحضرني من معانيهـا ، ولا أكتفي بذكري ما تعلق بالمواضع السّابقة عن ذكر ما تعلـق بالمواضع اللاحقة ، لأن الله وصف هذا الكتاب أنه مثاني فيه الأخبار والقصص والأحكـام ، وجميع المواضيـع الـنافعـة لحكم عظيمة ، وأمر بتدبّره جميعـه ، لِمَـا في ذلك من زيـادة العلـوم والمعـارف ، وصـلاح الظاهر والباطن ، وإصلاح الأمور كلها (3) .

وقد التزم الشّيخ ما نهجه لنفسه في تلك الطريقة ، حيث جـاء تفسيره متوسّطًا ، لا بالطـول المخلّ ، ولا بالاختصـار المقلّ ، فقد بسط كلامه في شـرح الآيـات القرءانية بأسلـوب سلس وعبارات سهلة ، ولغة واضحـة ، لا غموض فيهـا ولا تكلـف ، حيث يقرؤهـا كـلّ أحد مـن

---

(1): هو الشّيخ محمّد زهرى النجّار .

(2): الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، لعبد الله بن سابح بن صالح الطيار ، ص 75 - 76 .

(3): تفسير السّعدي ، ص 17 .

المتعلميـن ، ويسبق ذلك بذكر اسم السّورة ، ثمّ يُتْبِعُهـا هـل من المكـي هي أم من المدنـي ؟ وقـد يذكـر الخلاف في كونها مكيّـة أم مدنيّـة ، دون تعرّض لعدد آيات السّورة ، ثـمّ بعدها

مباشرة يشرع في معنى الآيات ، يبدأ بالآية الأولى حتى منتهى السّورة ، وبعد الانتهاء من تفسير كلّ سورة يدعوا الله تعالى ويحمدُه على ذلك ، ونادرًا ما يذكر تاريخ الانتهاء من تفسير تلك السّورة ، وإليك ـ أخي الكريم ـ مثال وحيد ، وجامع وفريد ، يضمّ كلّ ما ذكرته في هذه المقدمة .

المثال : يقول فيها : (تفسير سورة القيامة , وهي مكيّة) (1) ، ثمّ يشرع في تفسير الآيات الواحدة تلو الأخرى إلى نهاية السّورة ، ويعطي معناها بأسلوب سهل وعبارات واضحة ، ويمضي في تفسيره للآيات حتى يصل إلى منتهى السّورة ويقول :(تمّ تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمِنة ، وذلك في 16 صفر 1344 هـ) (2) .

وبعد هذا المثال ، أذكر الطرق التي أوردها في تفسيره ، وهي على النسق الآتي :

1 ـ تفسير القرآن بالقرآن : لقد ذكر الشّيخ ـ رحمه الله ـ لهذا النوع من الطريق في التفسير ذكرًا كثيرًا ، وتفسيره مليء به ، إذ هو أصحّ طرق التفسير ، كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية (3) ـ رحمه الله ـ : (فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصحّ الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر) (4) .

وقد أدرك هذا المعنى الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، فاعتنى به اعتناءً كبيرًا ، وأكثر منه كثيرًا ، وذلك بإيراد آيات من القرآن مفسِّرة ، هي دالة على معنى تلك الآية المفسَّرة ، فأحيانًا يفسّر آية مجملة بآيات مفصّلة لها ، وأحياناً يجمع آيات متعددّة ذات الموضوع الواحد ولها صلة بالآية المفسَّرة ، أو يفسّر آية بآيات أخرى تدلّ على المعنى نفسه ، أويورد اللفظ المبهم أو المجمل ويفسّره بآيات مبيِّنة له ، أويذكر اللفظ المطلق بآية مقيِّدة له ، أو يقترن آية بآيات عديدة ليستخرج أحكامها الفقهية ذات الموضوع الواحد ، أو يخصّص العموم الوارد في

---

(1): المرجع السّابق ، ص 946 .

(2): المرجع نفسه ، ص 948 .

(3): ينظر ص 29 .

(4): مقدّمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم ، ص 93 ، ط2/ 1392هـ ـ 1972 م .

الآية بآيات أخرى ، وكلّ هذا وارد في تفسيره ، لكن سأكتفي بإيراد مثال واحد من كلٍّ ما ذكرت .

المثال : حيث قال في تفسيره ، الآية 37 من سورة البقرة : **{** فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ **}** فالكلمات هنا مبهمة ، فيسأل السّائل ، ما هي هذه الكلمات ؟ فقال ـ رحمه الله ـ وهي قوله :**{** قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا **}** [الأعراف : 23] , فقد بيّن هنا ما أُبهم في الآية السّابقة (1) .

2 ـ استشهاده بالسّنة النبوية : كما اعتنى الشّيخ ـ رحمه الله ـ بتفسير القرآن بالقرآن ، اعتنى كذلك تفسير القرآن بالسّنة النبويّة ، فقد قال شيخ الإسلام (2) : (فإن أعياك ذلك فعليك بالسّنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشّافعي (3) : كلّ ما حَكَمَ به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن) (4) , حيث يذكر الآية ثمّ يستشهد بالحديث ويسقطه على الآية ، ومثال ذلك :

المثال : يقول في تفسير الآية 30 من سورة الرّوم : **{** فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا **}** كما قال النّبيُّ ﷺ : **>** كلّ مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه **<**(5) ، (6) .

---

(1): تفسير السّعدي ، ص 36 .

(2): ينظر ص 29 .

(3): محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان ابن شافع بن السّائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة ابن كعب بن لؤي بن غالب ، ولد سنة 150 هـ ، ومن بين شيوخه : مالك بن أنس ، ومن بين تلاميذه : أحمد بن حنبل ، ومن بين مؤلفاته : الرّسالة ، توفي بعد العشاء ليلة الجمعة آخر ليلة من رجب سنة 204 هـ ، ينظر سير أعلام النبلاء ، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت/ شعيب الأرنؤوط ، رقم 1 ، 10/ 7 - 10 - 44 ، مؤسّسة الرّسالة .

(4): مقدّمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم ، ص 93 .

(5): رواه البخاري في صحيحه ، ت/ قاسم الشمّاعي الرّفاعي ، كتاب الجنائز ، باب رقم 877 (ما قيل في أولاد المشركين) ، رقم الحديث 1293 ، 2/ 587 ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ورواه مسلم في الجامع الصّحيح ، كتاب القدر ، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، 8/ 52 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، كلاهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

(6): تفسير السّعدي ، ص 678 - 679 .

3 ـ تفسير القرآن بأقوال الصّحابة : إننا نجد بين دفتي تفسير الشّيخ ـ رحمه الله ـ هذا النوع من التفسير ، لكنه ليس كالنوعين الأوّلَيْن ، حيث لم يكثر منه ، إذ قصده من التفسير بيان المعنى المراد من الآية فقط ، وليس جمع وذكر وحشو الكتاب بأقوال هؤلاء أو هؤلاء ، وهو أن يذكر الآية كعادته ، ثمّ يذكر الصّحابي الذي أعطى المعنى لتلك الآية أو اللفظة ، وإليك المثال :

المثال : ما ذكره في تفسير الآية 102 من سورة آل عمران ، وهي قوله تعالى : **{**يَـأَيُّـهَـا اَلـذِيـنَ ءَامَنُـواْ اتَّـقُـواْ اللَـهَ حَـقَّ تُـقَـاتِـهِ**}** الآية ، فقال : وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود (1) وهو أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر(2) .

4 ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين : فنجده ـ رحمه الله ـ لم يكثر من هذا النوع مثل سابقه ، وهو أن يذكر الآية ثمّ يعقبها بقول التابعي في هذه المسألة ، ومثاله :

المثال : ما ذكره في تفسير الآية الأولى من سورة الحجرات ، وهي قوله تعالى : **{**وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**}** ، فقال : ثمّ أمر الله بتقواه عمومًا ، وهي كما قال طلق بن حبيب (3) : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخشى عقاب الله (4) .

---

(1): عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ... , يكنى بأبي عبد الرّحمن ، وكان إسلامه قبل إسلام عمر بن الخطاب ، وأوّل مَن جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ ، وهاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد مع الرّسول ﷺ معظم الغزوات ، وأخذ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، توفي بالمدينة سنة 32 هـ ودفن بالبقيع ، ينظر الإصابة في تمييز الصّحابة ، لابن حجر العسقلاني ، رقم 4945 ، 4/ 129 ، طبع سنة 1853 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البرّ رقم 1670 ، 1/ 592 - 596 ، 1426 - 1427 هـ ، 2006 م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ، غاية النهاية في طبقات القرّاء ، لابن الجزري ، رقم 1914 ، 1/ 409 - 410 ، ط1/ 1427 هـ - 2006 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(2): تفسير السّعدي ، ص 136 .

(3): طلق بن حبيب العنزي ، وممّن حدث عنهم : ابن عبّاس ، وجابرابن عبد الله ، ومن بين مَن روى عنه : سليمان التيمي ، والأعمش ، مات قبل المائة ، ينظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأحمد بن عبد الله الأصفهاني ، رقم 209 ، 3/ 63 ، 1416 هـ - 1996 م ، دارالفكر بيروت ، لبنان ، صِفَة الصّفوة ، لابن الجَوزي ، ت/ محمود فاخوري ، رقم 512 ، 3/ 258 ، دار المعرفة ، سير أعلام النبلاء ، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، رقم 239 ، 4/ 601 - 603 .

(4): تفسير السّعدي ، ص 849 .

5 ـ تفسير القرآن باللغة : لم يتعرّض الشّيخ ـ رحمه الله ـ للمباحث اللغوية في تفسيره بكثرة ، لكنه ذكرها بتوسّط ، فلم يكثر منها ولم يُقِل ، بل يتناول منها بقدر ما تؤدّي الغرض ، وتوصل الهدف إلى بيان معناه ، ولا يعني هذا أن اللغة ليست مهمّة عنده ، بل هي من أهم الشّروط التي يجب أن تتوفر في كلّ مَن يريد تفسير كلام الله ، وخير دليل لذلك ، ما قاله في تفسيرقوله تعالى :{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } [إبراهيم : 4] فقال : ويستدلّ بهذه الآية الكريمة على أنّ علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله ، لأنّه لا يهتمّ معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها (1) ، وهذا دليل على أنه يهتم باللغة أيّما اهتمام ، فيذكر الآية ، ثمّ يتبعها بمعناها في اللّغة ، ومثال ذلك :

المثال : في تفسير الآية الرّابعة من سورة الناس :{ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } ، حيث قال: ويخنس أي : يتأخّر إذا ذكر العبد ربّه واستعان به على دفعه (2) .

ثانياً : منهجه في موضوعات علوم القرآن .

لقد اعتنى الشّيخ ـ رحمه الله ـ بهذا الجانب اعتناء لا بأس به ، إذ نجده تفاوتت درجة الأخذ به بين الأخذ السّريع لها ، وبين الوقوف الطّويل عليها ، ومباحث علوم القرآن كثيرة جدّا ، لا يمكن استقصاؤها جميعًا ، لذلك سأقتصرعلى البعض منها فقط ، ولا آتي على ذكر كلّها.

1 ـ في المكي والمدني : نجده يذكر في هذا الباب نوع السّور ، هل هي مكيّة أم مدنيّة ؟ ثمّ يشرع مباشرة في تفسير السّورة بلا دليل أو تعليق أو غير ذلك .

المثال : يقول تفسير سورة النجم وهي مكيّة (3) ثمّ يذهب لتفسيرها حتى نهايتها ، وهكذا مع باقي سور القرآن .

2 ـ في الناسخ والمنسوخ : نجده يذكر الآية ، ثمّ يذكر الآية الناسخة لها مع شرح بسيط .

المثال : يقول في تفسير الآية الآتية : { يَا أَيُّهَا الَذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلَواةَ وَأَنتُمْ سُكَرى} [النّساء : 43] فيقول : وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا ،فإن

---

(1): المرجع السّابق ، ص 442 .

(2): المرجع نفسه ، ص 985 .

(3): المرجع نفسه ، ص 867 .

الخمر في أوّل الأمر كان غير محرّم ، ثمّ إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه ... ثمّ إن الله حرّمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله : { يَـأَيُّـهَـا اَلـذيـنَ ءَمَـنُـواْ إِنَّـمَـا اَلْـخَمْـرُ وَالْـمَـيْـسِرُ وَالاَنـصَـابُ وَالاَزْلَـمُ رِجْسٌ مِّـنْ عَمَلِ اِلـشَّـيْـطَنِ فَـاجْـتَـنِـبُـوهُ } الآية ، [المائدة : 90] (1) .

3 ـ في الإسرائيليات : نجده ـ رحمه الله ـ لا ينقل عن بني إسرائيل ، ولا يرى الأخذ برواياتهم المزعومة ، فتفسيره خالٍ من هذا كلِّه .

المثال : عند تفسيره لقوله تعالى : { إِذْ قَـالَ يُـوسُفُ لِأَبِـيـهِ يَـــــأَبَـتِ إِنِّـي رَأَيْـــتُ أَحَدَ عَشَرَ كَـوْكَـبـاً ... إِنَّ رَبَّـكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [يوسف : 4 ـ 6] نجده يقول : واعلم أن الله ذكر أنه يقصّ على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب ، ثمّ ذكر هذه القصّة وبسطها ، وذكر ما جرى فيها ، فعُلم بذلك أنها قصّة تامّة كاملة حسنة ، فمن أراد أن يكملها أو يحسّنها بمـا يُذكر في الإسرائيليات التي لايُعرف لها سند ولا ناقل ، وأغلبها كذب ، فهو مستدرك على الله ، ومكمّل لشيء يزعم أنّه ناقص ، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحدّ قبحًا ، فإن تضاعيف هذه السّورة قد ملئت في كثير من التّفاسير , من الأكاذيب والأمور الشّنيعة المناقضة لما قصّه الله تعالى بشيء كثير، فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصّه ، ويدع ما سوى ذلك ممّا ليس عن النّبيّ ﷺ يُنقل (2) .

فهذه نماذج من منهجه في موضوعات علوم القرآن ، وهناك طرق أخرى لم أذكرها خشية الإطالة ، وهي أمثال : الخاص والعام ، أسباب النزول ، المحكم والمتشابه .

الفرع السّادس : مميّزات الشّيخ في كتابه والمؤاخذات عليه .

أوّلاً : المميّزات : أذكر منها على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر .

1 ـ تلمس من خلال عباراته أنه متحرّر الرّأي والنظر، وليس متعصّبًا لرأي أحد أو جامدًا على قول من الأقوال .

2 ـ سهولة العبارة ووضوح المعنى ، حيث يفهمها الخاصّ والعام من الناس .

3 ـ ـ عدم خوضه في الإسرائيليات .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 176 .

(2): المرجع نفسه ، ص 411 .

3 - جَمَعَ عددًا معتبرًا من الأقوال في الآية الواحدة ، ثمّ يصوغها بعبارات قليلة وموجزة ، وبأسلوب مُيَسَّرٍ .

5 - تجنبه الحشو والطول والكلام الذي لا طائلة من وراءه .

ثانيًا : الملحوظات : وهي كسابقتا في الذكر، وممّا يؤخذ عليه في تفسيره .

1 - أنه جعل سورة مريم مدنيّة ، وبالرّغم من اطلاعي على معظم التفاسير ، وأقوال المفسّرين في هذه السّورة ، فلم أجد مَن خالف في مكيّها ، وقد حكى الإمام القرطبي (1) الإجماع في أنها مكيّة ، فقال في فاتحة تفسير سورة مريم عليها السّلام : وهي مكيّة بالإجماع (2) ، كما حكى الإجماع أيضًا الإمام ابن الجوزي (3) فقال في فاتحة تفسيره لها : وهي مكيّة بإجماعهم من غير خلاف علمناه (4) .

2 - عدم تناسق تفسير الآيات ، ففي بعض الأحيان يطيل في الشرح كثيرًا ، وفي بعض الأحيان يقلل من الشّرح .

---

(1): محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ـ بسكون الرّاء والحاء المهملة ـ الأنصاري الخزرجي المالكي ، أبو عبد الله القرطبي ، ومن بين شيوخه : أبي علي الحسن بن محمّد بن محمّد البكري الحافظ ، ومن بين تلاميذه : ابنه شهاب الدّين أحمد القرطبي ، ومن بين مصنفاته : التفسير الشّهير بجامع أحكام القرآن ، والتذكار في أفضل الأذكار، توفي ليلة الإثنين 9 شوّال سنة 671 هـ ، ينظر طبقات المفسّرين ، محمّد بن علي بن أحمد الدّاودي ، رقم 434 ، 2/ 69 ـ 70 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(2): الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لِما تضمّنه من السّنة وآي الفرقان ، محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، ت/ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، 13/ 403 , ط1/ 1427 هـ ـ 2006 م ، مؤسّسة الرّسالة .

(3): عبد الرّحمن بن علي بن محمّد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله البكري أبو الفرج ابن الجوزي ، ولد تقريبًا سنة 508 هـ أو 510 هـ , صنف في معظم العلوم كالتفسير والحديث والفقه وغيرها ، كان بارزًا في التفسير والوعظ والتاريخ ، ينظر طبقات المفسّرين ، عبد الرّحمن السّيوطي ، ت/ علي محمّد عمر ، رقم 50 ، ط1/ جمادى الآخرة سنة 1396 هـ ـ يونية سنة 1976 م ، مطبعة الحضارة العربية ، الفجالة ، مكتبة وهبة .

(4): زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي ، 876 ، ط1/ 1423 هـ ـ 2002 م ، المكتب الإسلامي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

المطلب الثّاني : دراسة قواعد الحسان .

لقد خصّصت الكلام عن هذا المطلب ، وجعلته في ستة فروع ، وهي كالآتي :

الفرع الأوّل : اسم الكتاب .

لقد سمّى المؤلف كتابه هذا بـ " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن " وهذا الاسم دالٌّ على ما يحتويه ، حيث يضمّ مجموعة من القواعد والأصول التي تعين القارئ على فهم كلام الله تعالى ، وتوصله إلى المعنى الصّحيح السّليم الذي لا شائبة فيه (1) .

الفرع الثاني : سبب تأليفه .

لم أعثرعلى سبب تأليفه له ، لكن لمحت إشارات خفية ، لعلها تكون سببًا لتأليفه إيّاه وهي :

1 - أن الاشتغال بعلوم القرآن وفنونه هو أفضلها وأحسنها وأجلها ، ويكفي الإنسان فخرًا ، أن الله ـ سبحانه ـ أثنى على القائمين بالقرآن وعلومه ، ووعدهم أسنى المواهب ، وجعلهم في أعلى الدّرجات والمراتب ، فقال في مقدّمته مبيّنا لهذا الأمر : (واعلم أن علم التفسير أجلّ العلوم على الإطلاق ، وأفضلها وأوجبها وأحبّها إلى الله ، لأن الله أمر بتدبّر كتابه ، والتفكر في معانيه ، والاهتداء بآياته ، وأثنى على القائمين بذلك ، وجعلهم في أعلى المراتب ، ووعدهم أسنى المواهب ، فلو أنفق العبد جوهر عمره في هذا الفنّ لم يكن ذلك كثيرًا في جنب ما هو أفضل المطالب ، وأعظم المقاصد ، وأصل الأصول كلها ، وقاعدة أساسات الدّين ، وصلاح أمور الدّين والدّنيا والآخرة ، وكانت حياة العبد زاهرة بالهدى والخير والرّحمة ، وطيب الحياة ، والباقيات الصّالحات) (2) .

2 - أراد أن يدفع عامّة الناس وخاصّة أصحاب هذا الفن إلى معرفة كتاب الله تعالى ، ولا يتأتى ذلك لهم إلا بقواعد وأصول تضبط تلك المعاني الكثيرة بكلمات قليلة يسيرة ، لذلك ألفه ليتحقق الغرض المنشود ، إذ نجده يقول في مثل هذا الشأن : (فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم ، جليلة المقدار ، عظيمة النفع ، تعين قارئها ومتأمّلها على فهم كلام الله ، والاهتداء به ، ومخبرها أجلّ من وصفها ، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يعين على كثير من التفاسير الحالية في هذه البحوث النافعة) (3) .

---

(1): قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، القواعد الحسان وتيسير الكريم الرّحمن ـ نموذجًا ـ ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية ، تخصّص : كتاب وسنّة ، من إعداد الطالب هشام شوقي ، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة ـ ، ص 68 ، 1430 هـ ـ 1431 هـ / 2009 م 2010 م .

(2) (3): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي , ص 3 ، ط1 / 1424 هـ ـ 2003 م ، دار الآثار .

3 - ولقد ذكر في كتابه " فتح الرّحيم الملك العلام " سببًا لتأليفه ، علـه يكـون صريحـا في ذلك وهو قوله : (... فقد كتبت سابقا كتابا مطوّلا في تفسير القرآن ، فصار طوله من أكبر الدّواعي لعدم نشره ، لفتور الهِمَمِ ومَلَلِها من الطول ، ثمّ إني بعد ذلك استخلصت منه ومـن غيره قواعد تتعلق كلها بأصول التفسير ، وهي نِعم العون للرّاغبين في علم التفسير الـذي هو أصل العلوم كلها فبلغت سبعين قاعدة ، ويسّر المولى طبعَها ونشرَها) (1) .

الفرع الثالث : مدّة تأليفه .

لقد انتهى المؤلف من تأليفه في اليوم السّادس من شهر شوّال عام خمس وستين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية (2) .

الفرع الرّابع : طبعاته .

1 - جاءت أوّل طبعة لهذا الكتاب سنة 1366 هـ بمطبعة أنصار السّنة المحمّدية بمصر ، وكانت على نفقة المؤلف ، ثمّ وزّعت مجّانًا .

2 - ثمّ أعيد طبعه سنة 1400 هـ على نفقة مكتبة المعارف بالرّيّاض (3) .

3 - ثمّ طبع الكتاب طبعة أخرى سنة 1420 هـ بدار الصّميعي في جزء واحد ، وقد اعتنى بهذه الطبعة عبد الله بن محمّد النجدي ، وهذه الطبعة تُعدّ أحسن طبعات الكتاب ، باعتبار أن المعتني بها استفاد من الطبعات السّابقة ، وأخرج الكتاب في أحسن حلة وأبهاها (4) .

4 - ثمّ تلتها طبعة أخرى 1424 هـ الموافق لـ 2003 م بدار الآثار، وقد جاءت أيضًا في جزء واحد كسابقتها ، وهي المعتمدة في بحثي هذا ، لكونها في حوزتي .

الفرع الخامس : منهج الشّيخ في عرض القواعد (طريقته) .

ذكر الشّيخ ـ رحمه الله ـ تلك القواعد في كتابه الواحدة تلو الأخرى ، فتتبعت منهجه في عرضها ، فخلصت إلى أن منهجه في الغالب يكمن في :

---

(1): فتحِ الرّحيم الملكِ العلامِ في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ، عبد الرّحمن بن عبد الله بن ناصر السّعدي ، ص 20 ، ط1 / 1430 هـ - 2009 م ، دار الفضيلة .

(2) (3): الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، لعبد الله بن سابح بن صالح الطيار ، ص 323 .

(4): قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، القواعد الحسان وتيسير الكريم الرّحمن ـ نموذجًا ـ ، ص 68 .

1 - أنه يذكر رقم القاعدة ، فيقول مثلا : القاعدة الأولى ، القاعدة السّادسة والثلاثون ، حتى ختام القواعد كلِّها .

2 - أنه يذكر اسم القاعدة ، فيقول مثلا : القاعدة التاسعة والخمسون : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وهكذا على نفس النسق حتى نهاية القواعد .

3 - يقوم بشرح تلك القواعد التي ذكرها ، فمرّة يبسط في الشّرح ، حتى يصل إلى أكثر من خمس صفحات كالقاعدة التاسعة عشرة ، وأحيانًا يُقِلُّ منه ، حتّى يصل إلى نصف صفحة .

4 - يقوم في الغالب بإعطاء أمثلة من القرآن الكريم ، توضّح تلك القاعدة .

وبعد أن ذكرت منهجه في " قواعد الحسان " ، لعلّ سائلا يقول ، أين الأمثلة التوضيحية لبعض القواعد ؟ فأقول للسّائل ، لم أذكر الأمثلة هنا ، لكوني سأتطرّق لذكر بعض القواعد وأمثلتها من تفسير الشّيخ ـ رحمه الله ـ في المطلب الثاني من المبحث الثاني فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ .

الفرع السّادس : مميّزات الشّيخ في كتابه والمؤاخذات عليه .

أوّلاً : المميّزات : أذكر منها ما يلي .

1 - أنه قام بجمع القواعد المتعلقة بتفسير القرآن في مجمع واحد ، وهذا ليتمكن المفسّر أو الباحث أو طالب العلم أو غيرهم دراسة تلك القواعد بكلّ أريحية .

2 - أنه قام بشرحها ، وذلك ليسهل على الجميع ماذا يقصد من هذه القاعدة أو تلك ؟ .

3 - سهولة العبارة ووضوحها ، إضافة إلى أنه كتاب يدعوا للتحلي بالفضائل ، والامتثال بأحسن الأخلاق والشّمائل .

ثانياً : الملحوظات : وممّا يؤخذ عليه ما يلي .

1 - أنه لم يذكر أمثلة من القرآن في بعض القواعد ، كالقاعدة التاسعة والعشرون ، والتي بعدها وهي الثلاثون .

2 - عدم التناسق والانسجام في شرح القواعد ، إذ نجد في شرح بعضها تفوق الخمس صفحات ، وفي البعض الآخر في صفحة أو دونها .

3 - عدم شرح بعض القواعد ، كالقاعدة الرّابعة ، والسّادسة والثلاثون ...

المبحث الثاني : تعريفات عامّة ونماذج من قواعد التّرجيح .

وقد قسّمت هذا المبحث إلى مطلبين كالمبحث الأوّل ، وهما كالآتي :

المطلب الأوّل : تعريفات أساسية .

قبل الانتقال إلى المطلب الثاني ، والذي فيه تطبيق للقواعد الترجيحية بالنصّ القرآني ، تطرّقت قبله إلى هذا المطلب وهو تعريفات أساسية وجعلته في خمسة فروع ، وأوّل تلك الفروع :

الفرع الأوّل : معنى القاعدة .

أوّلا : لغة : بالنظر إلى معاجم اللغة ، وما ذكره العلماء في معنى هذه اللفظة ، خلصت في الأخير إلى الآتي :

جاء في " لسان العرب " و " تاج العروس من جواهر القاموس " القاعدة : أصل الأُسِّ ، والقواعد : الإساس ، وقواعد البيت إساسه ، وهذا كما قال الله تعالى : **{** وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ اَلْبَيْتِ وَ إِسْمَعِيلُ **}** [البقرة : 127] (1) .

وقال الزّجّاج (2) , القواعد : أساطِينُ البِنَاءِ التي تَعْمِدُه (3) .

كما جاء في " المفردات " والقاعدة : لمن قعدت عن الحيض والتزوّج ، والقواعد جمعها ، قال تعالى **{** وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ اَلنِّسَآءِ **}** [النور : 60] (4) .

---

(1): لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ، 361/3 ، مادّة (قعد) ، ط 3/ 1414 هـ ، دار صادر ، بيروت . تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني ، 9/ 60 ، دار الهداية .

(2): إبراهيم بن السّرّي بن سهل أبو إسحاق النحوي ، ومن بين تلاميذه : أبو علي الفارسي ، وقد سمع عنه أبو العلا المعرّي ، وآخرما سمع عنه ببغداد قوله " اللهمّ احشرني على مذهب أحمد ابن حنبل " ، ومن بين مصنفاته : معاني القرآن ، والذي بدأ إملاءه في صفر سنة 285 هـ وأتمّه في ربيع الأوّل سنة 301 هـ ، وكتاب خلق الإنسان ، توفي في جمادى الآخرة سنة 311 هـ ، ينظر معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي ، ت/ الدّكتور إحسان عبّاس ، رقم 9 ، 1/ 51 - 52 - 63 ، ط 1/ 1993 م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

(3): تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني ، 9/ 60 .

(4): المفردات في غريب القرآن ، الرّاغب الأصفهاني ، ت/ محمّد سيّد كيلاني ، ص 409 ، كتاب القاف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

وقيل أيضًا ، القاعدة : كلّ قاعدة فهي أصل للتي فوقها (1) .

وإذا أمعنا النظر في هذه المعاني المتعدّدة ، وجدناها كلها تؤول إلى معنى واحد يجمعها ، وهو الأساس ، فقواعد كلّ شيء : أسسه وأصوله التي ينبني عليها ، سواء كان ذلك الشّيء حسّيًا كما سبق ، أو معنوياً كما نقول مثلاً : قواعد الإسلام ، قواعد العلم وغير ذلك (2) .

ثانيًا : اصطلاحًا : لقد أخذتْ هذه الكلمة في الاصطلاح عدّة تعريفات عند علماء الأمّة ، سأقتصر على ذكر البعض منها فقط .

1 - ذكر صاحب " الكليات " أن القاعدة ، اصطلاحًا : قضيّة كلية من حيث اشتمالها بالقوّة على أحكام جزئيّات موضوعها ، وتسمّى فروعًا واستخراجها منها تفريعًا ، كقولنا : كلّ إجماع حقٌّ (3) .

2 - وقيل هي أمر كلي الذي ينطبق على جزئيّاتٍ كثيرةٍ تُفْهَمُ أحكامها منه (4) .

3 - وذكر صاحب " المدخل الفقهي العام " هي حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته (5) .

وانطلاقًا من هذه التعاريف الإصطلاحية التي ذكرها العلماء ، نجد أنفسنا بين أمرين هما :

أ / الذين قالوا هو حكم أو أمر أو قضيّة كلية كالقولين الأوّلين ، فلأن شأن القواعد أن تكون كلية ، وإن الفرع أو الفروع المُخْرَجَة منها ليست داخلة فيها ، إذ هي كلية بالنسبة إلى غير تلك الفروع المخرجة منها خصّصها بما وراءه من فروع (6) .

---

(1): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ص 707 ، ط 2/ 1419 هـ 1998 م ، مؤسّسة الرّسالة ، بيرت ، لبنان .

(2): نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء ، محمّد الرّوكي ، ص 38 ، ط1/ 1414 هـ - 1994 م ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدّار البيضاء ، الرّباط .

(3): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي ، ص 728 .

(4): شرح الكوكب المنير ، تقي الدّين أبو البقاء محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجّار ، ت/ محمّد الزّحيلي - ونزيه حمّاد ، 1/ 30 ، باب ترتيب الأدلة والتعادل والتعارض والترجيح ، ط2/ 1418 هـ - 1997 م ، مكتبة العبيكان .

(5): المدخل الفقهي العام ، مصطفى أحمد الزرقَا ، 2/ 965 ، ط1/ 1418 هـ - 1998 م ، دار القلم ، دمشق .

(6): قواعد الترجيح عند المفسّرين - دراسة نظرية تطبيقية - ، حسين بن علي بن حسين الحربي ، 1 / 37 ، ط 1 / 1417 هـ - 1996 م ، دار القاسم ، الرّيّاض .

ب / والذين قالوا هو حكم أغلبي كالقول الأخير ، فلأنها لاتنطبق على جميع الجزئيّات في كلّ قاعدة ، وإنما حكم أغلبي إذ إن كثيرًا من القواعد تشذ عنها بعض المسائل ، فتعدّ مستثناة منها ، ولا يقدح ذلك في كونها قاعدة ، وبذلك صار الحكم أغلبيًا (1) .

ونجد حسين الحربي يؤول إلى الأمر الثاني ، فقال : ولعلّ التعريف الثاني ـ حكم أغلبي ينطبق على معظم الجزئيّات ـ أقرب إلى الناحية الواقعية في الصّورة المختلف عليها ...(2)

الفرع الثاني : معنى الترجيح .

أوّلا : لغةً : جاء في " معجم مقاييس اللغة " ، الرّاء والجيم والحاء أصل واحد ، يدلّ على رزانة وزيادة ، يقال رجح الشّيء ، وهو راجح ، إذا رزن ، وهو من الرّجحان (3) .

وجاء في " لسان العرب " , رجح الشّيء يَرْجَحُ ويَرْجِحُ ويَرْجُحُ رُجوحًا ورَجَحانًا ورُجْحانًا ، والترجّح التذبذب بين شيئين (4) .

وفي " كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم " ، الترجيح في اللغة : جعل الشّيء راجحًا ، أي فاضلا غالبًا زائدًا (5) .

وفي " المعجم الوسيط " ، رجح الشّيء رجوحًا ورجحانًا ورجاحة ، ثقل ، ورجحه ، أرجحه وفضّله وقوّاه (6) .

وفي " التعاريف " ، الترجيح لغة : زيادة الموزون ، تقول رجّحت الميزان ، ثقلت كفته بالموزون (7) .

---

(1) (2): المرجع السّابق ، 1/ 38 .

(3): معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت/ عبد السّلام محمّد هارون ، 2/ 489 ، كتاب الرّاء ، طبعة 1399 هـ ـ 1979 م ، دار الفكر .

(4): لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ، 445/2 ، مادّة (رجح) .

(5): موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمّد بن علي ابن القاضي محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي ، ت/ الدّكتور علي دحروج ، 1 / 415 ، ط1 / 1996 م ، مكتبة لبنان ، بيروت .

(6): المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزّيّات ـ حامد عبد القادر ـ محمّد النجّار) ، 1/ 329، دار الدّعوة .

(7): التوقيف على مهمّات التعاريف ، محمّد عبد الرّؤوف المناوي ، ت/ محمّد رضوان الدّاية ، ص 170 ، باب التاء ، فصل الرّاء ط1/ 1410 هـ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق .

ثانيًا : اصطلاحًا : لقد أخذ هذا المصطلح تعريفات كثيرة عند علماء الأمّة الإسلامية (1) ، سأقتصر على ذكر البعض منها فقط .

1 - جاء في " شرح الكوكب المنير " ، الترجيح : هو تقوية إحدى الأمارتيْن على الأخرى لدليل (2) .

2 - وجاء في " المحصول في أصول الفقه " ، والترجيح في الشّريعة : عبارة عن وفاء أحد الظنين على الآخر (3) .

وفي بحثي هذا : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدلّ على قوّته أو على ضعف ما سواه .

الفرع الثالث : معنى قواعد الترجيح باعتباره مركب إضافي .

لا يوجد مَن تطرّق إلى هذا العلم ودرسه دراسة وافية ، من حيث تحديد معالمه ، ووضْع حدوده وتفاصيله , ولنترك المجال لحسين الحربي يقول مقولته .

لم أر أحدًا سبق في دراسة هذا الموضوع دراسة مستقلة ، وحدّد معالمه ، ووضع حدوده ، فالذين كتبوا في علوم القرآن وأصول التفسير ، لم يتعرّضوا لهذا الموضوع ، لذلك كانت هذه محاولة مني لتحديد معالم هذا العلم ، فأقول وبالله التوفيق .

قواعد الترجيح عند المفسّرين هي : ضوابط وأمور أغلبية يُتَوَصَّل بها إلى معرفة الرّاجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله .

قلت : (ضوابط وأمور) باعتبار عدم التفريق بين القاعدة والضابط كما هو نهج بعض العلماء ـ لمن يرى ذلك ـ .

وقلت : (أغلبية) باعتبار أن القاعدة أغلبية ، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في تعريف القاعدة .

---

(1): ينظر نهاية السّول شرح منهاج الوصول ، عبد الرّحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ، 1/ 374 ، التعريفات ، علي بن محمّد بن علي الزّين الشّريف الجرجاني ، ص 56 ، أصول السّرخسي ، 2/ 250 ، وغيرها .

(2): شرح الكوكب المنير ، تقي الدّين أبو البقاء محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجّار ، ت/ محمّد الزّحيلي ـ ونزيه حمّاد ، 4/ 616 ، باب ترتيب الأدلة والتعادل والتعارض والترجيح .

(3): المحصول في أصول الفقه ، القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المالكي ، ت/ حسين علي اليدري ، 1/ 149 ، كتاب الترجيح ، ط1 / 1420 هـ ـ 1999 م ، دار البيارق ، الأردن .

وقولي : (يتوصّل بها إلى معرفة الرّاجح) خرج به القواعد التي يُتوصّل بها إلى استنباط الأحكام وغيرها ، فالترجيح لا استنباط فيه من الآية ، وإنما هو نظر في الأقوال المستنبطة من الآية ، للترجيح بينها من خلال هذه القاعدة .

قولي : (من الأقوال المختلفة) خرج به ما كان موضع وفاق بين العلماء ، فلا مجال للترجيح فيه ، وهو ما يُعرف بالإجماع .

قولي : (في تفسير كتاب الله) خرج به الترجيح في غيره من العلوم كالفقه والنحو وغيرها (1) .

الفرع الرّابع : معنى النص .

أوّلا : لغة : جاء في " معجم مقاييس اللغة " ، النون والصّاد أصل صحيح ، يدلّ على رفْعُ وارتفاع وانتهاء في الشّيء (2) .

وجاء في " لسان العرب " ، النصُّ رفعك الشّيء ، نصّ الحديث ينصّه نصًّا ، رفعه ، وكلّ ما أُظهر فقد نُصَّ (3) .

وجاء في " المعجم الوسيط " ، النصّ صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف (4) .

ثانيا : اصطلاحًا : جاء في " المهذب " ، النصّ اصطلاحًا هو : اللفظ الذي يفيد معناه بنفسه من غير احتمال (5) .

وفي " التعريفات " ، النصّ ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلم ، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى (6) .

---

(1): قواعد الترجيح عند المفسّرين ـ دراسة نظرية تطبيقية ـ ، حسين بن علي بن حسين الحربي ، 1 / 39 .

(2): معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت/ عبد السّلام محمّد هارون ، 5/ 365 ، كتاب النون .

(3): لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ، 97/7 ، مادّة (نصص) .

(4): المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية بالقاهرة ، 2/ 626 .

(5): المهذب في علم أصول الفقه المقارن ، عبد الكريم بن علي بن محمّد النملة ، 3/ 1195 ، الباب الرّابع في الألفاظ ودلالتها على الأحكام ، الفصل التاسع في النصّ والظاهر والمجمل وما يتعلق بها ، ط1 / 1420 هـ ـ 1999 م ، مكتبة الرّشد ، الرّيّاض .

(6): التعريفات ، علي بن محمّد بن علي الجرجاني ، ت/ إبراهيم الأبياري ، رقم 1549 ، ص 309 ، ط1/ 1405 هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

الفرع الخامس : معنى القرآن .

أوّلا : لغةً : قرأ الكتاب قراءة وقرآنا ، تتبع كلماته نظرًا ونطقًا بها (1) .

وجاء في " لسان العرب " ، ومعنى القرآن معنى الجمع ، وسمّي قرآنا لأنه يجمع السّور ، فيضمّها ، وقوله تعالى :{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ } [القيامة : 17] ، أي جمعه وقراءته، { فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ } [القيامة : 18] ، أي جمعه وقراءته (2) .

ثانيا : اصطلاحًا : عرّف بعدّة تعاريف (3) ، وذلك بسبب الزّاوية التي ينظر منها كلّ عالم من العلماء للقرآن ، والمختار منها .

جاء في " التعريفات " ، والقرآن هو المنزّل على الرّسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلا متواترًا بلا شبهة (4) .

كما عرّف أيضًا ، القرآن : هو كلام الله المنزّل على النبيّ محمّد ﷺ ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبّد بتلاوته ، المعجز ولو بسورة واحدة (5) .

---

(1): المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزّيّات ـ حامد عبد القادر ـ محمّد النجّار) ، 2/ 722.

(2): لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ، 128/1 ، مادّة (قرأ) .

(3): ينظر الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدّين السّيوطي ، النوع السّابع عشر ، ص 80 ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمّد بن محمّد بن سويلم أبو شُهبة ، ص 21 ، المحرّر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار ، ص 22 .

(4): التعريفات ، علي بن محمّد بن علي الجرجاني ، ت/ إبراهيم الأبياري ، رقم 1129 ، ص 223 .

(5): علوم القرآن الكريم ، نور الدّين عتر ، ص 10 ، ط1 / 1414 هـ ـ 1993 م ، مطبعة الضبل ، دمشق .

المطلب الثاني : نماذج من قواعد الترجيح .

إن الناظر والمتأمّل لكتاب (القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن) للشّيخ ـ رحمه الله ـ ، والمتفحّص والمتمحّص له ، يدرك جليّـًا أن هذا الكتاب لا يضـمّ بين دَفتيـه القواعـد المتعلقة بالتفسير فحسب ، وإنمـا الأمـر أكثر من ذلك ، ونترك الكـلام لخالـد السّبت يقـول مقولتـه ، وهذا عندما كان يعدّد المؤلفات في قواعد التفسير .

فقال : (... وبعد دراسـة القواعـد التي ذكرهـا المؤلـف ـ رحمه الله ـ وجدتّهـا على أنـواع : فمنها قواعـد في التفسير حقيقـة ، وتقـارب العشرين قاعـدة ، ومنهـا مـا يصلـح أن يسمّـى : قواعد قرآنيـة ، وليست من قواعـد التفسيـر ، كالتي تعـرف من خلال تتبّع منهج القرآن في بعض القضايـا ، كمقابلة الوعد بالوعيد ، وأهل الإيمان بضدّهـم ... وهكذا .

ومنها فوائد ولطائف ، وليست بقواعد .

ومنها قواعد فقهية مستنبطة من القرآن .

وفي الجملة يمكن أن نقول إن هذا الكتاب قد وضعه مؤلفه ـ رحمه الله ـ في قواعد التفسير، إلا أنه توسّع فيما اختاره من القواعد ، فعدّ معهـا كثيرًا من القواعـد والفوائـد المستنبطة من القرآن ، والتي لاتدخل في : قواعد التفسير) (1) .

وفي هـذا المطلب سأشرع ـ بحول الله وقدرتـه ـ في ذكـر بعـض القواعـد المتعلقـة بالـنـصّ القرآني أو ما يطلق عليها القواعد المتعلقة بالتفسير، ولا آتي على ذكر جميع القواعد ، لأن ذلك يطول ، والدراسة لا تسمح .

وأمّا بالنسبة لمنهجي الذي اتبعته في دراستي لهذه القواعد ، فهو على النسق الآتي :

1 ـ أذكر القاعدة التي ذكرها الشّيخ كما هي بلا زيادة ولا نقصان .

2 ـ أذكر شرحًا موجـزًا للقاعـدة ، وذلك بتتبّع شرحاتهـا في مظانهـا الأصلية لها ، وإعطاء معنى إجمالي لـها .

3 ـ أذكر مثالا واحدًا لكلّ قاعـدة من تفسيره ، وذلك تطبيقًا لهـا ، أو مثالين إذا تطلب الأمر لذلك .

وكلّ قاعدة جعلتها في فرع مستقل بها ، وهي كالآتي :

---

(1): قواعد التفسير ، خالد بن عثمان السّبت ، 1/ 44 ـ 45 ، دار ابن عفان .

الفرع الأوّل : العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

أوّلا : الشّرح .

يقول ـ رحمه الله ـ : ويراد بالخاص العام ، وعكسه ، مع وجود القرائن الدّالة على ذلك ، وخطاب الشّارع لواحد من الأمّة أو كلامه في قضية جزئية يشمل جميع الأمّة وجميع الجزئيّات ، إلا إذا دلّ دليل على الخصوص ، وفعله ﷺ الأصل فيه أن أمّته أسوته في الأحكام ، إلا إذا دلّ دليل على أنه خاصّ به (1) .

ويقول أيضًا : وهذه قاعدة نافعة جدّا ، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير ، وعلم غزير ، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير ، ويقع الغلط والارتباك ، وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم ، فمراعاة هذه القاعدة أكبر عون على معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، والقرآن قد جمع أجلّ المعاني وأنفعها وأصدقها بأوضح الألفاظ وأحسنها ، كما قال تعالى : **{** وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا **}** [الفرقان : 33] ، يوضّح ذلك ويبيّنه ، وينهج طريقه (2) .

ثانيًا : مثال توضيحي .

قال تعالى : **{** أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِئَايَتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا **}** [مريم : 77] , أي : أفلا تتعجّب من حالة هذا الكافر ، الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة ، أنه سيُؤتى في الآخرة مالا وولدًا ، أي : يكون من أهل الجنّة ، هذا من أعجب الأمور ، فلو كان مؤمنًا بالله وادّعى هذه الدّعوى لسهل الأمر .

وهذه الآية ـ وإن كانت نازلة في كافر معيّن ـ فإنها تشمل كل كافر ، زعم أنه على حقّ ، وأنه من أهل الجنّة (3) .

وقد عمل الشّيخ ـ رحمه الله ـ بهذه القاعدة ، من خلال الآية ، فقد صرّح فيها أنها نزلت في كافر معيّن ، ومعنى الآية تعمّ وتشمل كلّ كافر زعم مثل هذا الزّعم الباطل .

---

(1): رسالة في أصول الفقه ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 8 ، مكتبة مشكاة الإسلامية .

(2): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 6 - 7 .

(3): تفسير السّعدي ، ص 524 - 525 .

الفرع الثاني : إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشّرط أو الاستفهام دلّت على العموم .

أوّلا : الشّرح .

لم يتعرّض الشّيخ لبيانها وشرحها ، والأصل في بيان هذه القاعدة على عمومها ، هو بيان النكرة في سياق النفي ، حيث جاء في " شرح الكوكب المنير " : ثمّ اعلم أن دلالة النكرة في سياق النفي على العموم ، إذ كلٌّ من النهي أو الشّرط أو الاستفهام في معنى النفي (1) .

ثانيًا : مثال توضيحي .

1 - النكرة في سياق النفي : قال تعالى : **{** وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا **}** [البقرة : 48] ، فقال - رحمه الله - **{** لاَّ تَجْزِي **}** أي : لا تغني ، **{** نَفْسٌ **}** ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصّالحين ، **{** عَن نَّفْسٍ **}** ولو كانت من العشيرة الأقربين **{** شَيْئًا **}** لا كبيرة ولا صغيرة (2) .

فقد وقعت في الآية ثلاث نكرات كلها في سياق النفي وهي : " نفس " المرفوعة ، و" نفس" المكسورة ، و" شيئا " ، فأفادت العموم وأصبحت الآية تشمل جميع ما يدخل تحت هذا المعنى .

2 - النكرة في سياق النهي : قال تعالى : **{** وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا **}**

[النّساء:36] ، يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له ، وهو الدّخول تحت رقّ عبوديته ، والانقياد لأوامره ونواهيه ، محبّة وذلاً وإخلاصًا له ، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة .

وينهى عن الشّرك به شيئًا ، لا شركًا أصغر ولا أكبر ، لا ملكًا ولا نبيّا ولا وليّا ولا غيرهم من المخلوقين ، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرّا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ،

---

(1): شرح الكوكب المنير ، تقي الدّين أبو البقاء محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجّار ، ت/ محمّد الزّحيلي - ونزيه حمّاد ، 3/ 136 - 141 ، باب العام .

(2): تفسير السّعدي ، ص 38 .

بل الواجب المتعيّن إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد (1) .

3 ـ النكرة في سياق الشّرط : قال تعالى : **{** إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً انْ يَّقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ **}** [يس : 82] ، يقول ـ رحمه الله ـ **{** إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً **}** نكرة في سياق الشّرط ، فتعمّ كلّ شيء (2) .

4 ـ النكرة في سياق الاستفهام : قال تعالى : **{** هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً **}** [مريم : 65] ، أي: هل تعلم لله مساميًا ومشابهًا ومماثلا من المخلوقين ، وهذا استفهام بمعنى النفي ، المعلوم بالعقل ، أي : لا تعلم له مساميًا ولا مشابهًا (3) .

الفرع الثالث : المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع .

أوّلا : الشّرح .

يقول الشّيخ ابن عثيمين (4) ـ رحمه الله ـ شارحًا لهذه القاعدة ومعلقًا عليها : المفرد المضاف يفيد العموم ، والجمع المضاف أيضًا يفيد العموم ، أمّا الجمع فأفاد العموم فهو بصيغته وإضافته ، والمفرد أفاد العموم بالإضافة فقط ، ولو نظرنا إلى كونه مفردًا ما دلّ على العموم ، لكن بالإضافة يدلّ ، ولهذا قال العلماء : لو قال : امرأتي طالق ، طَلَقَتْ جميع نسائه ما لم يُرِدْ واحدة معيّنة ، ولو قال : داري وقف ، وله ثلاثة دور ، صارت جميع الدّور وقف ، لأنه مفرد مضاف يُعمّ ، ولو قال : غلامي حرّ ، عَتَقَ جميعُ غلمانه ما لم ينو (5) .

وهذه القاعدة لم يتعرّض الشّيخ ـ رحمه الله ـ لبيانها أو شرحها ، كالقاعدة الثانية التي سبق ذكرها .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 174 .

(2): المرجع نفسه ، ص 741 .

(3): المرجع نفسه ، ص 523 .

(4): ينظر ص 44 .

(5): شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ت/ أيمن بن عارف الدّمشقي ـ محمّد بن عبد الله الطالبي ـ صبحي بن محمّد رمضان ، ص 20 ، ط1 / 1423 هـ ـ 2002 م ، مكتبة السّنة ، القاهرة .

ثانيًا : مثال توضيحي .

قال تعالى : { وَلَقَدْ اوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى اَلذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزّمر : 65] ، قال ـ رحمه الله ـ هذا مفرد مضاف ، يعمّ كلّ عمل ، ففي نبوّة جميع الأنبياء ، أن الشّرك محبط لجميع الأعمال ، كما قال تعالى في سورة الأنعام ، لمَّا عدّد كثيرًا من أنبيائه ورسله ، قال عنهم : { ذَلِكَ هُدَىً اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوَ اَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [الأنعام : 89] (1) .

فالمفرد المضاف هنا ، هي لفظة " عملك " والتي أضيفت للنبيّ ﷺ فعمّ بذلك جميع الأعمال ، وأنه ما من عمل خالطه شرك فهو مردود على صاحبه وغير مقبول .

وهناك أمثلة كثيرة في القرآن ، على هذا المنوال .

الفرع الرّابع : الألف واللاّم الدّاخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه .

أوّلا : الشّرح .

معنى هذه القاعدة أنه إذا وجدنا وصفا ، أو اسم جنس في القرآن الكريم دخلت عليه " أل " التي تفيد الاستغراق ، فإن جمع المعاني والأفراد الداخلة تحت ذلك الوصف أو اسم الجنس تكون مرادة في ذلك الموضع ، وذلك حسب ما دخلت عليه (2) .

المتصف به عقوبة ، وشرّا , ونقصًا ، يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور ، كما في قوله تعالى : { إِنَّ اَلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَتِ وَالْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَتِ } إلى قوله : { أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب : 35] (3) .

---

(1): تفسير السّعدي ، ص 772 .

(2): قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، القواعد الحسان وتيسير الكريم الرّحمن ـ نموذجًا ـ ، ص 80 .

(3): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 7 .

وأنه كلما كملت هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رُتبَ عليها من المغفرة والأجر العظيم ، وبنقصانها ينقص ، وبعدمها يُفقد ، وهكذا كلّ وصف نهى الله عنه ، ورتب عليه وعلى المحلى بأل يعمّ ، سواء دخل على وصف أودخل على اسم جنس ، ثمّ المؤلف ـ رحمه الله ـ استطرد في أسماء الله تعالى وأن " ال " فيها للاستغراق ، فمثلا السّميع لاستغراق كلّ ما يمكن من السّمع ، ولهذا ما من مسموع إلا ويسمعه الله ـ عزّ وجلّ ـ ، البصير لاستغراق كلّ ما يمكن من البصر ، البَرّ لاستغراق كلّ ما يمكن من الخير والإحسان وهكذا ... (1) .

وقد نبّه النبيّ ﷺ أمّته إلى هذه القاعدة ، وأرشدهم إلى اعتبارها في قوله في التشهّد في الصّلاة في قول المصلين : **<** السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين **>** فقال : **<** فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كلّ عبد صالح من أهل السّماء والأرض **>** (2) ، وأمثلتها في القرآن كثيرة جدّا (3) .

ثانيًا : مثال توضيحي .

1 ـ في الألف واللاّم الدّاخلة على الأوصاف : قال تعالى : **{** قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ **}** [يونس : 68] ، يقول ـ رحمه الله ـ **{** هُوَ الْغَنِيُّ **}** أي : الغنى منحصر فيه ، وأنواع الغنى مستغرقة فيه ، فهو الغنيّ الذي له الغنى التام بكلّ وجه واعتبار من جميع الوجوه ، فإذا كان غنيّا من كلّ وجه ، فلأيّ شيء يتخذ الولد ؟

أَلحَاجةٍ منه إلى الولد ، فهذا مناف لغناه ، فلا يتخذ أحد ولدا إلا لنقص في غناه (4) .

2 ـ في الألف واللاّم الدّاخلة على أسماء الأجناس : قال تعالى : **{** وَالنَّجْمِ إِذَا هَوى **}** [النجم : 1] ، يقول ـ رحمه الله ـ يقسم تعالى بالنجم عند هُوِيِّه ، أي : سقوطه في الأفق في آخر الليل وإقبال النهار ، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة ، ما أوجب أن أقسم به ، والصّحيح أن النجم ، اسم جنس شامل للنجوم كلها ، وأقسم بالنجوم على صحّة ما جاء به

---

(1): شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ص 17 .

(2): رواه البخاري في صحيحه ، ت/ قاسم الشمّاعي الرّفاعي ، كتاب صفة الصلاة ، باب رقم 541 (التشهّد في الآخرة) ، رقم الحديث 786 ، 2/ 392 ، ورواه مسلم في الجامع الصّحيح ، كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، 2/ 13 ، فيه عدّة روايات ، إلا أنني أخذت رواية عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

(3): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 9 .

(4): تفسير السّعدي ، ص 384 .

الرّسول ﷺ من الوحي الإلهي ، لأن في ذلك مناسبة عجيبة ، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسّماء ، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض ، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء ، لكان الناس في ظلمة أشدّ من الليل البهيم (1) .

الفرع الخامس : من قواعد القرآن أنه يستدلّ بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه من الأخلاق والصّفات .

أوّلا : الشّرح .

معناها أن الأقوال والأفعال إذا صدرت من شخص استدلّ بها على حاله كمالا أو نقصًا ، فإذا وجدنا هذا الرّجل متأنيًا في أموره متدبّرًا لِمَا يقول ويفعل ، فدلّ بذلك على كمال عقله ووفور دهنه ، وإذا رأينا الأمر بالعكس فدلّ على سوء عقله وتدبيره ، ومعناها أنهم استدلوا بالآثار على المؤثر (2) .

وهذه القاعدة جليلة ، فإن أكثر الناس يقصر نظره على نفس اللفظ الدّال على ذلك القول أو الفعل من دون أن يفكر في أصله وقاعدته التي أوجبت صدور ذلك الفعل والقول ، والفطن اللبيب ينظر إلى الأمرين ، ويعرف أن هذا لهذا ، وهذا ملازم لهذا (3) .

ثانيًا : مثال تطبيقي .

قال تعالى : **{** وَإِذَا سَمِعُواْ اللّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ **}** [القصص : 55] ، يدلّ على حسن الخلق ، ونزاهة النفس عن الأخلاق الرّذيلة ، وعلى سعة عقولهم ، وقوّة حِلمهم واحتمالهم ، ومَثَلٌ الإخبار عن أهل الجاهلية بتقتيل أولادهم خشية الفقر ، أو من الإملاق ، يدلّ على شدّة هلعهم ، وسوء ظنهم بربّهم ، وعدم ثقتهم بكفايته (4) .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 867 .

(2): شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ص 203 .

(3) (4): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 117

الفرع السّادس : الآيـات القرآنية التي ظاهرها التّضـاد يجب حمل كلّ نوع منهـا على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام .

أوّلا : الشّرح .

ملخّص هذه القاعدة هو أن القرآن جاءت فيه آيـات ظاهرهـا التعـارض ، يعنـي أن بعضها يعـارض بعضًـا ، وهـذا شـيء لا يمكـن فـي القـرآن ولا فـي صحيـح السّنـة أن تتعـارض النصوص ، لأن الله يقول : **{** وَلَـوْ كَـانَ مِـنْ عِـندِ غَيْـرِ ِاللهِ لَـوَجَدُواْ فِـيهِ اِخْـتِلَـفًـا كَـثِـيـراً **}** [النسـاء : 82] ، أمّا ما كان مِن عند الله فليس فيه اختلاف ، والعلماء رحمهم الله يذهبون إلى الجمع بين هـذه النصوص التي ظاهرهـا التعارض ، إمّا باختلاف الأحوال أو باختلاف الأشخـاص أو باختـلاف الأزمـان أو باختـلاف الأمكنـة ، فهـذه أربـع حـالات لا تعـدوا هذه الأحوال ، وقد ألف الشّيخ الشّنقيطي (1) ـ رحمه الله ـ كتـابًا سمّـاه " دفع إيهـام الاضطـراب في آي الكتـاب " جمـع فيه الآيـات التي قيل إنهـا متعارضة ، يعني أن ظاهرهـا التعـارض وجمع بينهـا ، والجمع ـ كما تعلمـون ـ قد يكـون متكلفًا وبعيـدا ، وقد يكـون قريبًـا حسب ما يُوفق الانسـان لـه ، والمهـمّ أن لدينـا قاعـدة ثابتـة راسخـة وهي : (أن القـرآن لا يمكـن أن يتعارض) ، لأن التعارض معناه دفع بعضه ببعض ، وهذا لا يمكن لأنه كـلام من عند الله ـ عـزّ وجـلّ ـ ، ولكـن مـا ظاهـره التعـارض يُنـزَّل على اختـلاف الأحـوال أو الأوقـات أو الأماكن أو الأشخاص ، والمؤلف ـ رحمه الله ـ ذكر أمثلة كثيرة من هذا النوع ، وذكر كيف يُجمع بين هذه الآيات التي ظاهرها التعارض (2) .

ثانيًا : مثال توضيحي .

قـال تـعـالـى : **{** خَتَـمَ اَللَّـهُ عَلَى قُـلُـوبِـهِـمْ وَعَلَى سَمْعِهِـمْ وَعَلَى أَبْـصـرِهِمْ غِشَـوَةً **}** الآيـة [البقرة : 7] .

هـذه الآية تدلّ بظاهرها على أنهم مجبورون ، لأن مَن خُتم على قلبه وجُعلت الغشاوة على بصره سُلبت منه القدرة على الإيمان ، وقد جاء في آيـات أخر ما يدلّ على أن كُفرَهم واقـع بمشيئتهم وإرادتهم ، كقوله تعالى : **{** فَـاسْتَحَبُّـواْ الْـعَمى عَلَى الْـهُـدى **}** [فصّلت : 16] ،

---

(1): ينظر ص 42 - 43 .

(2): شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ص 44 .

وكقوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ اَلذِينَ اَشْتَرَوُاْ الضَّلَـلَةَ بِالْهُدى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ } [البقرة : 174] ، وكقوله : { فَمَن شَآءَ فَلْيُومِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ } الآية [الكهف : 29] ، وكقوله : { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ } الآية [آل عمران : 182] ، وكقوله : { لَبِيسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ } الآية [المائدة : 82] .

والجواب أن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، كلّ ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرّسل باختيارهم ومشيئتهم ، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاءً وفاقًا ، كما بيّنه الله تعالى بقوله : { بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } [النساء : 154] ، وقوله : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } [المنافقون : 3] ، وقوله : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصرَهُمْ كَمَا لَمْ يُومِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام : 111] ، وقوله : { فَلَمَّآ أَزَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ } [الصّف : 5] , وقوله : { فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً } الآية [البقرة : 9] ، وقوله : { بَل رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ } [المطففين : 14] ، إلى غير ذلك من الآيات (1) .

وكذلك قوله تعالى :{ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرِ اِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِينِي } [الأعراف : 143] يقول ـ رحمه الله ـ أي لن تقدر الآن على رؤيتي ، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدّار على نشأة لا يقدرون بها ، ولا يثبتون لرؤية الله ، وليس في هذا دليل على أنّهم لا يرونه في الجنة ، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربّهم تبارك وتعالى ، ويتمتّعون بالنظر إلى وجه الكريم ، وأنهم ينشئهم نشأة كاملة يقدرون معها على رؤية الله تعالى (2) .

---

(1): دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجنكي الشّنقيطي ، ص 8 ـ 9 ، ط 1/ 1417 هـ ـ 1996 م ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(2): تفسير السّعدي ، ص 310 .

الفرع السّابع : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة : إيماننا بالإسم وبما دلّ عليه من المعنى وبما تعلق به من الآثار .

أوّلا : الشّرح .

وهذه القاعدة العظيمة خاصّة بأسماء الرّبّ و وفي القرآن من الأسماء الحسنى ما ينيف عن ثمانين اسمًا كرّرت في آيات متعدّدة بحسب ما يناسب المقام ، وهذه القاعدة تنفكّ في كلّ اسم من أسمائه الحسنى المتعلقة بالخلق ، والأمر ، والثواب ، والعقاب ، فعليك أن تؤمن بأنه عليم ذو علم ، عظيم محيط بكلّ شيء ، قدير ذو قدرة وقوّة عظيمة ، ويقدر على كلّ شيء ، ورحيم وذو رحمة عظيمة ، ورحمته وسعت كلّ شيء ، والثلاثة متلازمة فالإسم دلّ على الوصف ، وذلك دلّ على المتعلق ، فمن نفى واحدًا من هذه الأمور الثلاثة ، فإنه لم يتمّ إيمانه بأسماء الرّبّ وصفاته الذي هو أصل التوحيد (1) .

ثانيًا : مثال توضيحي :

قال تعالى : **{** اِعْلَمُواْ أَنَّ َاللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ َاللّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ **}** [المائدة : 100] ، أي : ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين ، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على مَنْ عصاه ، وأنّه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه ، فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه ، والرّجاء لمغفرته وثوابه ، وتعلمون على ما يقتضيه الخوف والرّجاء (2) .

الفرع الثامن : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلّ على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم .

أوّلا : الشّرح .

هذه القاعدة لها وجهان :

الأوّل : أنْ ختم الآية باسم من أسماء الله تعالى لا يكون إلاّ مناسباً لذلك الحكم الذي ختم بهذين الإسمين ، ومثال ذلك : **{** وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ َاللّه ُ وَّاللّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ **}** [المائدة : 38] ، فإن قطع اليد يتناسب مع

---

(1): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 68 .

(2): تفسير السّعدي ، ص 247 .

عزّة الله وحكمته ، أي عزّ وحَكَمَ ، فقطع يد السّارق ، وعزّ وحكم ، فعاقب المعتدي شرعًا وقدرًا وجزاءً ، وقد اعترض الأعرابي على القارئ الذي قرأ : (نَكَالاً مِنَ اَللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا بسبب ، مثل : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَّهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ اَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : 118] ، قد يقول قائل : (وَإِن تَغْفِرْ لهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ اَلْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ، لكن لمَّا كان هنا المقام مقام عزّة وكمال تصرّف ، جاءت : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ اَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، فهؤلاء لهم حالة من اثنين ، إمّا عذاب وإمّا رحمة ومغفرة ، فلهم ما تقتضيه العزّة والحكمة لعنادهم واستكبارهم ، والحاصل أنه لا يخرج عن ما تدلّ الآية من الحكم إلى شيء من أسماء الله ليس ما يتضمّن ذلك الحكم إلا لسبب وفائدة .

الثّاني : أن ختم الآية باسم من أسماء الله يدلّ على أن الحكم مطابق لذلك الاسم ، فهذا الوجه غير الوجه الأوّل ، فمثلا : { إِلاَّ اَلذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ } [المائدة : 34] ، وكان الإنسان يتوقع أن يقال : ستسقط عنهم العقوبة ، لكنه لم يقل هذا ، وإنما قال : { فَاعْلَمُواْ أَنَّ اَللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } ، أي : سقط عنهم الحدّ في عموم مغفرة الله ورحمته ، هذا هو مجمل هذه القاعدة (1) .

فهذه القاعدة لطيفة جدّا ، عليك بتتبّعها في جميع الآيات المختومة بها تجدها في غاية المناسبة ، وتدلك على أن الشّرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته ، ومرتبط بها ، وهذا باب عظيم من معرفة الله ، ومعرفة أحكامه ، من أجلّ المعارف وأشرف العلوم تجد آية الرّحمة مختومة بأسماء الرّحمة ، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزّة والقدرة والحكمة والعلم والقهر (2) .

ثانيًا: مثال تطبيقي .

قال تعالى: { فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة : 37] وختمه كثيرًا من الآيات بهذين الاسمين بعد ذكر رحمته ، ومغفرته وتوفيقه

---

(1): شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ص 60 - 64 - 67 .

(2): القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ص 38 .

وحلمه ، فمناسبته جلية لكلّ أحد وأنه لمَّا كان هو التوّاب الرّحيم ، أقبل بقلوب التائبين إليه ووفقهم لفعل الأسباب التي يتوب عليهم ويرحمهم بها ، ثمّ غفر لهم ورحمهم ، فتاب عليهم أوّلا بتوفيقهم للتوبة والأسباب ، وتاب عليهم ثانيًا حين قَبِلَ متابهم ، وأجاب سؤالهم ، ولهذا قال في الآية الأخرى : { ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا } [التوبة : 118] ، أي : أقبل بقلوبهم ، فإنه لولا توفيقه وصرف قلوبهم إلى ذلك لم يكن لهم سبيل إلى ذلك حين استولت عليهم النفس الأمّارة ، فإنها لا تأمر إلا بالسّوء إلا مَن رحم الله ، فأعاذه منها ومن نزغات الشّيطان (1) .

وكذلك قوله تعالى : { لِلَّذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : 224] ، يقول ـ رحمه الله ـ { فَإِن فَآءُو } أي : رجعوا إلى ما حلفوا على تركه ، وهو الوطء ، { فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ } يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف بسبب رجوعهم ، { رَّحِيمٌ } حيث جعل لأيمانهم كفارة وتحلة ، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك ، ورحيم بهم أيضًا ، حيث فاؤوا إلى زوجاتهم وحنوا عليهن ورحموهن (2) .

وهذه قواعد أخرى ، والتي أذكرها هنا اختصارًا بلا شرح أو مثال ، والتي أودّ وأتمنى أن تكون مشروع بحث لأحد طلبة التخصّص للعام القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ وهي كالآتي :

1 ـ مراعاة ما دلّ عليه اللفظ مطابقة وتضمّنًا ولزومًا .

2 ـ حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له .

3 ـ بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دلّ على المعنى المناسب له ، وإذا قرن مع غيره دلّ على بعض المعنى ودلّ ما قرن معه على باقيه .

4 ـ حذف جواب الشّرط يدلّ على تعظيم الأمر وشدّته في مقامات الوعيد .

5 ـ الأصل أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلا في آيات يسيرة .

---

(1): المرجع السّابق ، ص 39 ـ 40 .

(2): تفسير السّعدي ، ص 92 .

6 - المحترزات في القرآن تقع في كلّ المواضع في أشدّ الحاجة إليها .

7 - إذا أمر الله بشيء كان ناهيًا عن ضدّه ، وإذا نهى عن شيء كان آمرًا بضدّه ، وإذا أثنى على نفسه أو على أوليائه وأصفيائه بنفي من النقائص كان ذلك إثباتا للكمال .

8 - ما أمر الله في كتابه إمّا أن يوجّه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدّخول فيه ، وإمّا أن يوجّه لمن دخل فيه فهذا أمره به ليصحّح ما وجد منه ويسعى في تكميل ما لم يوجد منه.

9 - إذا كان سياق الآيات في أمور خاصّة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحُكم لا يختصّ بها بل يشملها ويشمل غيرها ، جاء الله بالحُكم العام .

10 - كثيرًا ما ينفي الله الشّيء لانتفاء فائدته وثمرته المقصودة منه وإن كانت صورته موجودة .

11 - إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصّفات الكاملة أراهم نقصهم في غيرهم من المستعدّين للكمال .

12 - ذكر الأوصاف المتقابلات يغني عن التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلومًا (1) .

وها قد وقف بنا جواد الكلام ، وهذا ما توصّلت إليه ، من خلال دراستي لهذين الكتابيْن ، وبالتحديد القواعد التي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ والمتعلقة بالنص القرآني ، ومن قبلهما سيرته العطرة ، ـ والله أعلم ـ .

وهذه القواعد التي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ في كتابه ليست كلها قواعد بالنصّ القرآني ، وإنما فيها قواعد فقهية ، وفوائد قرآنية ، وغيرها ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على تَطَلعِهِ الواسع فس شتى العلوم ، ونهله من جميع الفنون ، وخير ما يستدلّ به تلك المؤلفات التي تركها لنفع الأمّة ، وكذلك ما مرّ معنا في هذه الرّسالة .

فأسأل الله تعالى أن ينفعني بهذه القواعد ، وينفع بها الأمّة جميعًا ، وخاصّة أصحاب التخصّص ـ علوم القرآن والتفسير ـ آمين ـ .

---

(1): قام بتحديدها صاحب رسالة قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، القواعد الحسان وتيسير الكريم الرّحمن ـ نموذجاً ـ , هشام شوقي , من ص 76 إلى ص 126 .

الخاتمـة

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث المسمّى بـ " قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني عند الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي " ، وبعد هذه الرّحلة الممتعة التي عشناها مع حياة الشّيخ ـ رحمه الله ـ ، توصّلنا فيها إلى أهم النتائج والتوصيات الآتية ذكرها :

1 ـ يعتبر كتاب تفسير السّعدي من أهم كتب التفسير في هذا الزّمان ، حيث لا يمكن لأيّ طالب علم أو غيره أن يستغني عنه ، وذلك لسهولة عباراته وألفاظه ، ويمكن أن يكون بوابة يدخل منها الباحث أو الطالب ليغوص في أعماق كتب التفسير المطوّلة .

2 ـ إن مفهوم قواعد الترجيح واسع عند الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي ـ رحمه الله ـ ، ونلمس ذلك من خلال كتابه " قواعد الحسان " كما مرّ معنا الكلام عنه .

3 ـ إن القواعد التي ذكرها الشّيخ ـ رحمه الله ـ في كتابه ليست كلها قواعد بالنصّ القرآني ، وإنما فيها قواعد فقهية ، وفوائد قرآنية ، وغيرها ـ يراجع الموضوع في مكانه .

4 ـ يعدّ كتاب " قواعد الحسان " من الكتب الهامّة في علم قواعد التفسير ، وهذا لاشتماله على قواعد لا يمكن للمفسّر أو باحث في مجال البحث العلمي أن يستغني عنها.

5 ـ إن تفسير السّعدي يمكن أن يكون أرضية يتدرّب عنها المبتدئ من طلبة العلم ، ليعرف كيفية تطبيق تلك القواعد ، وأيضًا المواضع التي تطبّق فيها .

ونصيحتي في ختام هذا البحث ، أوجّه نداءً إلى كافة طلبة العلوم الاسلامية ، وخاصّة طلبة علوم القرآن والتفسير ، وأخصّ بالذِكر طلبة العام المقبل ، أن يجعلوا مذكراتهم ورسائلهم وبحوثهم الأكاديمية في هذا العلم ـ علم قواعد الترجيح ـ ويبحثوا فيه ، من أجل النهوض بهذا العلم ، والعمل على رقيّه وتطويره ، والذي لازال لم ينضج بعد ، حتى يستفيدوا من هذا العلم لأنفسهم أوّلا ، ولأمّتهم ثانيًا ، ويغنوا مكتبة التفسير من مثل هذه البحوث ، والتي لا زالت تعاني نقصًا كبيرًا فيه ، كما أنهم يشاركوا الباحثين في وضع بصمتهم ولو بالجزء القليل في هذا العلم ـ وفق الله الجميع لِمَا فيه نفع العباد والبلاد ـ ، كما أسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به عباده المؤمنين ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

والحمد لله في الابتداء والاختتام

والشّكر له على التّوفيق والإتمام

ملخّص البحث

هذا ولله الحمد والمِنة والفضل .

فبحثـي هذا هو عبارة عن دراسة لنماذج من قواعد الترجيح عند عَلم من الأعلام المعاصرين ، ألا وهو الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ـ رحمه الله ـ حيث نجده ألف العديد من المؤلفات في شتى الفنون ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على علمه الغزير ، وعطائه الواسع الكثير ، ومن أشهر تلك المؤلفات وأبرزها في علم التفسير ، كتابي **" تيسير الكريم الرّحمن في تفسير الكلام المنان "** وكذا **" قواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن "** ، فالأوّل هو تفسير كامل للقرآن الكريم ، والثاني ذكر فيه إحدى وسبعين قاعدة متعلقة بتفسير القرآن ، فذكرت القاعدة من الكتاب الثاني ، وأعطيت معنى عامًا لها ، ثمّ أعقبت ذلك بمثال من تفسيره تطبيقًا لتلك القاعدة ، وقبل ذلك عشنا مع سيرته العطرة ، وحياته النيّرة ، من خلال أحواله الشّخصية والعلمية .

وقد جاء بحثي مقسّمًا إلى فصلين ، وهما كالآتي :

الفصل الأوّل : تحدّثت فيه عن حياة الشّيخ ـ رحمه الله ـ من الناحية الشّخصية وكذا الناحية العلمية ، وتحت هذا الفصل هناك مبحثين ومطالب وفروع .

الفصل الثاني : تحدّثت فيه عن الكتابيْن المذكورين سابقًا ، ثمّ ذكرت نماذج من قواعد الترجيح المتعلقة بالنصّ القرآني ، والتي جاء ذكرها في **"** قواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن **"** وبعض تطبيقاتها من تفسيره ، وتحت هذا الفصل كذلك مبحثين ومطالب وفروع .

كما يضمّ البحث قبل هذين الفصلين على : شكر وتقدير وعرفان ، وإهداء ، ومقدّمة ، وبعدهما على : خاتمة ، وملخّص لهذا البحث ، وقائمة المصادر والمراجع , وفهرس للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام المترجم لهم ، والأماكن المترجمة لها ، والمواضيع .

Résume Recherche

Ma recherche et une étude d'un échantillon de l'un des perliers de prépondérant chez l'un des célèbres savants contemporains c'est chi kl Abderrahmane Ben Naceur Essoodi que dien le bénisse.

Ce dernier avait des œuvres dans divers arts ce qui prouve son aptitude et sa capacité intellectuelle .Et de ses ouvrages (El Tefcir tycir El Karim Arrahman) et ainsi les fondement d'elhassane qui concerne l'explication du coran.

Le premier c'est l'explication du tout le coran et le second comprend 71 règles concernant la suite de l'explication. J'ai présenté la règle du 2^{m} livre et j'ai donné un sens général puis j'commenté cela par un exemple de ses explication en appliquant l'autre règle et avant tout ca, on est vécu avec ses comportements nobles et scientifiques.

Ma recherche est divisée en deux chapitre, le 1er chapitre comprend sa biographie du coté personnel et scientifique et sons ce chapitre, il ya chapitre des sons titres .Ou j'ai évoqué ces deux livres cités ci dessus, puis j'ai cité quelques exemples de règles prépondérant concernant le verset coranique cité dans (Les règles El Hassan) concernant l'explication du coran et quelque application .Ainsi ,ma recherche avant ces deux chapitre a renfermé le grand remerciement et la reconnaissance estimation et la dédicace et une introduction ensuite une fin et résume a cette recherche et une liste des références et des sources et un tableau pour les versets couraniques et les (Ahadites)et les savants et les lieu aux quels on a traduit.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع .

(أ)

1 - ابن قيم الجوزية حياته آثاره مولده ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار العاصمة ، المملكة العربية السّعودية ، النشرة الأولى 1412 هـ .

2 - الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي ، ت/ محمّد سالم هاشم ، ط 1 / 1425 هـ - 2004 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

3 - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ابن عبد البَرّ ، 1426 هـ ،1427 هـ - 2006 م دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

4 - الإصابة في تمييز الصّحابة ، ابن حجر العسقلاني ، طبع سنة 1853 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

5 - أصـــول السّرخسي ، محمّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمّة السّرخسي ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(ب)

1 - بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ت/ عبد الكريم بن رسمي الدّريني ، ط 1 / 1422 هـ - 2002 م ، مكتبة الرّشد .

(ت)

1 - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني ، دار الهداية .

2 - ترجمة لتسعة من العلماء ، محمّد بن إبراهيم الحمد ، 5 / 2 / 1427 هـ .

3 - التعريفات ، علي بن محمّد بن علي الجرجاني ، ت/ إبراهيم الأبياري ، ط 1 / 1405 هـ دار الكتاب العربي ، بيروت .

4 - تفسير السّعدي ، عبد الرّحمن الناصر السّعدي ، ت/ عبد الرّحمن بن معلا اللويحق ، ط 2 / 1434 هـ - 2013 م ، مؤسّسة الرّسالة ، دمشق ، سوريا .

5 - التوقيف على مهمّات التعاريف ، محمّد عبد الرّؤوف المناوي ، ت/ محمّد رضوان الدّاية ، ط 1 / 1410 هـ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر بيروت ، دمشق .

(ج)

1 - الجامع الصّحيح ، أبي الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار الفكر ، بيوت ، لبنان .

2 - الجامع لشعب الإيمان ، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت/ الدّكتور عبد العلي عبد الحميد حامـــد ، ط 1 / 1423 هـ - 2003 م ، مكتبة الرّشد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، طريق الحجاز .

3 - الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لِما تضمّنه من السّنن وآي الفرقان ، محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، ت/ الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط 1 / 1427 هـ - 2006 م ، مؤسّسة الرّسالة .

(ح)

1 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، 1416 هـ - 1996 م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

(د)

1 ـ دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب ، محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي ، ط 1 / 1417 هـ ـ 1996 م ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

(ر)

1 ـ رسالة في أصول الفقه ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، مكتبية مشكاة الإسلامية ، د/ط .

2 ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السّنين ، محمّد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي ، ط 1 / 1400 هـ ـ 1980 م ، مطبعة الحلبي .

3 ـ الرّياض الناظرة والحدائق النيّرة الزّاهرة في العقائد والفنون المتنوّعة الفاخرة ، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي ، ط 1 / 1426 هـ ـ 2005 م ، دار المنهاج .

(ز)

1 ـ زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرّحمن بن علي بن محمّد الجوزي ، ط 1 / 1423 هـ ـ 2002 م ، المكتب الإسلامي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

(س)

1 ـ سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة وأثرها السّيّء على الأمّة ، ط 1 / 1412 هـ ـ 1992 م ، دار المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

2 ـ سنن ابن ماجه ، ابن ماجة أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني ، ت/ محمّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية فيصل البابي الحلبي .

3 ـ سير أعلام النبلاء ، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت/ شعيب الأرنؤوط ، مؤسّسة الرّسالة .

(ش)

1 ـ شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن ، محمّد بن صالح العثيمين ، ت/ أيمن بن عارف الدّمشقي ـ محمّد بن عبد الله الطّالبي ـ صبحي بن محمّد رمضان ، ط 1 / 1423 هـ ـ 2002 م ، مكتبة السنة ـ القاهرة .

2 ـ شرح الكوكب المنير ، تقي الدّين أبو البقاء محمّد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجّار ، ت/ محمّد الزحيلي ـ نزيه حمّاد ، ط 2 / 1418 هـ ـ 1997 م ، مكتبة العبيكان .

3 ـ الشّيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية وجهوده الدّعوية وآثاره الحميدة ، محمّد بن أحمد سيد أحمد ، المكتب الإسلامي .

4 ـ الشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي مفسّرا ، عبد الله بن سابح بن صالح الطيّار ، ط 1 / 1421 هـ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السّعودية .

5 ـ الشّيخ عبد الرّحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، عبد الرزاق بن عبد المحسن العبّاد ، ط1/ 1411 هـ ـ 1990 م ، ط 2 / 1414 هـ ـ 1993 م ، مكتبة الرّشد .

(ص)

1 ـ صحيح البخـاري ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي ، ت/ الشّيخ الشمَّاعي الرّفاعـي ، دار الأرقـم بن أبي الأرقـم ، بيروت ، لبنان .

2 ـ صفوة الصّفوة ، ابن الجوزي ، ت/ محمود فاخوري ، دار المعرفة .

(ط)

1 ـ طبقـات المفسّريـن ، عبد الرّحمن السّيوطـي ، ت/ علي محمّد عمـر ، ط 1 / جمادى الآخـرة سنة 1396 هـ يونية سنة 1976 م ، مطبعـة الحضارة العربية ، الفجالة ، مكتبة وهبة .

2 ـ طبقـات المفسّريـن محمّد بن علـي بـن أحمد الدّاودي ، دار الكتب العلميـة ، بيروت ، لبنان .

(ع)

1 ـ علماء نجد خـلال ثمانيـة قرون ، عبد الله بن عبد الرّحمن بن صالح آل بسّام ، ط 1 / 1398 هـ ، دار العاصمة ، المملكة العربية السّعودية .

2 ـ علـوم القرآن الكريـم ، نـور الـدّيـن عــتـر ، ط 1 / 1414 هـ ـ 1993 م ، مطبعة الضبل ، دمشق .

(غ)

1 ـ غاية النهاية في طبقات القرّاء ، ابـن الجـزري ، ط 1 / 1427 هـ ـ 2006 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(ف)

1 ـ الفتـاوى السّعديـة ، عبد الرّحمــن الناصـر السّعـدي ، ط 1 / 1388 هـ ـ 1968 م ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

2 ـ فتح الرّحيـم الملك العـلام في علـم العقائـد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القـرآن ، عبـد الرّحمـن بـن عبد الله بـن ناصـر بـن ناصر السّعـدي ، ط 1 / 1430 هـ ـ 2009 م ، دار الفضيلة .

(ق)

1 ـ قواعد الترجيـح عند المفسّرين ـ دراسة نظرية تطبيقيـة ـ ، حسين بـن علي بـن حسين الحربي ، ط 1 / 1417 هـ ـ 1996 م دار القاسم ، الرياض .

2 ـ قواعد التفسير ـ جمعا ودراسة ـ ، خالد بن عثمان السّبت ، دار ابن عفان .

3 ـ قواعـد التفسيـر بين التنظيـر والتطبيـق عند الشيـخ عبد الرّحمن بــن ناصر السّعدي ، القواعد الحسان وتيسير الكريم الرّحمن ـ نموذجا ـ ، مذكرة مقدّمة لنيـل شهـادة الماجستير في العلـوم الاسلاميـة ، تخصّص كتـاب وسنة ، هشـام شوقـي ، 1430 هـ ـ 1431 هـ / 2009 م ـ 2010 م ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة .

4 ـ القواعـد الحسـان المتعلقـة بتفسيـر القـرآن ، عبد الرّحمـن بن ناصر السّعدي ، ط 1 / 1424 هـ ـ 2003 م ، دار الآثار .

(ك)

1 ـ الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبي البقـاء أيـوب بـن موسى الحسينـي الكوفي ، ط 2 / 1419 هـ ـ 1998 م ، مؤسّسة الرّسالة .

(ل)

1 ـ لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ط 3 / 1414 هـ ، دار صادر ، بيروت .

(م)

1 ـ المحرّر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، ط 2 / 1429 هـ ـ

2008 م ، مركز الدّراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي .

2 ـ المحصول في أصول الفقه ، القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المالكي ، ت / حسين علي اليدري ، ط 1 / 1420 هـ ـ 1999 م ، دار البيارق ، الأردن .

3 ـ المدخل الفقهي العام ، مصطفى الزرقا ، ط 1 / 1418 هـ ـ 1998 م ، دار القلم , دمشق .

4 ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمّد بن محمّد بن سويلم أبو شهبة ، ط 2 / 1423 هـ ـ 2003 م ، مكتبة السنة ، القاهرة .

5 ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشّيخ ، ط 2 / 1394 هـ ، دار اليمامة .

6 ـ معجم بلاد القصيم ، محمّد بن ناصر العبّودي ط 2 / 1410 هـ ـ 1990 م .

7 ـ معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي ، ت / الدّكتور إحسان عبّاس ط 1 / 1993 م ، دار المغرب الإسلامي بيروت ، لبنان .

8 ـ معجم البلدان ، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، 1397 هـ ـ 1977 م ، دار صادر ، بيروت .

8 ـ المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصر ، أعضاء ملتقى أهل الحديث، إعداد خالد لكحل .

9 ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، عالية نجد ، سعد بن عبد الله بن جنيدل ، طبع سنة 1399 هـ ـ 1979 م ، دار اليمامة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

10 ـ معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت / عبد السّلام محمّد هارون ، ط / 1399 هـ ـ 1979 م ، دار الفكر .

11 ـ المعجم الوسيط معجم اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمّد النجّار ، دار الدّعوة .

12 ـ المفردات في غريب القرآن ، الرّاغب الأصفهاني ، ت / محمّد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

13 ـ مقدّمة في أصول التفسير ، لابن تيمية ، تقي الدّين أحمد بن عبد الحليم ، ت / الدّكتور عدنان زرزور ، ط 2 / 1392 هـ - 1972 م .

14 ـ المهذب في علم أصول الفقه المقارن عبد الكريم بن علي بن محمّد النملة ، ط 1 / 1420 هـ ـ 1999 م ، مكتبة الرّشد .

15 ـ موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمّد بن علي ابن القاضي ـ محمّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي ، ت / الدّكتور علي دحروج ، ط 1 / 1996 م ، مكتبة لبنان ، بيروت .

(ن)

1 ـ نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء ، محمّد الرّوكي ، ط 1 / 1414 هـ 1994 م مطبعة النجاح الجديدة ، الدّار البيضاء ، الرباط .

2 ـ نهايــة السّول شـرح منهـاج الوصـول ، جمال الدّين عبد الرّحيم الإسنـوي ، ط 1 / 1420 هـ ـ 1999 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	اسم السّورة	رقم الآيـة	الصّفحة
{ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ }	يـس	42	18
{ وَمَا يُلَقَّيهَآ إِلاَّ اَلذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّيهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيم }	فصّلت	35	21
{ ذَالِكَ فَضْلُ اللّه يُوتِيهِ مَن يَّشَآءُ وَاللّه وَاسِعٌ عَلِيم }	المائدة	54	53
{ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ }	البقرة	37	56
{ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا }	الأعراف	23	56
{ فِطْرَتَ اللّه اِلتِي فَطَرَ اَلنَّاسَ عَلَيْهَا }	الرّوم	30	56
{ يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَهَ حَقَّ تُقَاتِهِ }	آل عمران	102	57
{ وَاتَّقُواْ اللّه إَنَّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ }	الحجرات	1	57
{ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }	إبراهيم	4	58
{ مِن شَرِّ اِلْوَسْوَاسِ اِلْخَنَّاسِ }	الناس	4	58
{ يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلَوَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرى }	النساء	43	58
{ يَأَيُّهَا اَلذِينَ ءَمَنُواْ إِنَّمَا اَلْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنصَابُ وَالاَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ اِلشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ }	المائدة	90	59
{ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ... إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }	يوسف	6 - 4	59
{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ اْلْقَوَاعِدَ مِنَ اَلْبَيْتِ وَإِسْمَعِيلُ }	البقرة	127	64
{ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ اَلنِّسَآءِ }	النور	60	64

{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ }	القيامة	17	69
{فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ }	القيامة	18	69
{ وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاً}	الفرقان	33	71
{ أَفَرَءَيْتَ الَذِي كَفَرَ بِئَايَتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا }	مريم	77	71
{وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا}	البقرة	48	72
{ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا }	النساء	36	72
{ إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً انْ يَّقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }	يس	82	73
{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً }	مريم	65	73
{ وَلَقَدْ اوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}	الزّمر	65	74
{ ذَلِكَ هُدَىَ اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوَ اَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }	الأنعام	89	74
{ إِنَّ اَلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَتِ وَالْمُومِنِينَ وَالْمُومِنَتِ } إلى قوله : { أَعُدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا }	الأحزاب	35	74
{ قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَنَهُ هُوَ اَلْغَنِيُّ }	يونس	68	75
{ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوى }	النجم	1	75
{ وَإِذَا سَمِعُواْ اللّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي اِلْجَاهِلِينَ {	القصص	55	76
{ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اِخْتِلَفًا كَثِيراً }	النساء	82	77
{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصرِهِمْ غِشَوَةٌ }	البقرة	7	77

{فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمى عَلَى الْهُدى}	فصّلت	16	77
{أُوْلَئِكَ الَذِينَ اَشْتَرَوُاْ الضَّلَلَةَ بِالْهُدى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ}	البقرة	174	78
{فَمَن شَآءَ فَلْيُومِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ}	الكهف	29	78
{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتَ اَيْدِيكُمْ}	آل عمران	182	78
{لَبِيسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمُ أَنفُسُهُمُ}	المائدة	82	78
{بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}	النساء	154	78
{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}	المنافقون	3	78
{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصرَهُمْ كَمَا لَمْ يُومِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}	الأنعام	111	78
{فَلَمَّآ أَزَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}	الصّف	5	78
{فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً}	البقرة	9	78
{بَل رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّاكَانُواْ يَكْسِبُونَ}	المطففين	14	78
{قَالَ رَبِّ أَ رِنِي أَنظُرِ اِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِينِي}	الأعراف	143	78
{اِعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}	المائدة	100	79
{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}	المائدة	38	79
{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ اَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}	المائدة	118	80
{إِلاَّ اَلذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ}	المائدة	34	80

80	37	البقرة	{فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ}
81	118	التوبة	{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}
81	224	البقرة	{لِلَّذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

فهرس الأحاديث النبوية

طـرف الحديــث	الرّاوي	الصّفحــة
< ... وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ ... >	أبي ذرّ الغفاري ـ رضي الله عنه ـ	17
< كلّ مولود يولد على الفطرة ، ... >	أبـي هريــرة ـ رضي الله عنه ـ	56
< السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين > فقال: < فإنكم إذا قلتم ذلك ... >	عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ	75

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العَلَم المترجم لـه	الصّفحة
محمّد بن رشيد	7
الشيخ الألباني	19
عبد الرّحمن بن علي بن عودان	22
الشيخ عبد العزيز بن باز	29
شيخ الإسلام ابن تيمية	39 - 36 - 33 - 29 56 - 55 -
العلامة ابن القيّم	39 - 36 - 33 - 29
الشيخ عبد الرزاق عفيفي	30
الشيخ محمّد حامد الفقي	30
الشيخ محمّد بن صالح العثيمين	51 - 44 - 30
الشيخ عبد الله بن عبد الرّحمن البسّام	51 - 31
الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل	31
الشيخ عبد الرّحمن بن عبد العزيز الزامل	32
الشيخ محمّد الأمين الشنقيطي	42 - 34
الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب	36
الشيخ عبد الله بن عائض	41
الشيخ محمّد بن عبد الله بن سليم	41
إبراهيم بن حمد بن جاسر	42
صالح بن عثمان آل قاضي	42
الشيخ سليمان بن إبراهيم آل بسّام	44

الشيخ محمّد بن عبد العزيز المطوّع	44
الشيخ علي بن حمد الصّالحي	45
الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الغرير	45
الإمام محمّد بن إدريس الشافعي	56
سيّدنا ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ	57
طلق ابن حبيب	57
الإمام القرطبي	60
الإمام ابن الجوزي	60
الإمام الزجّاج	64

فهرس الأماكن المترجم لها

المكـان المترجـم لـه	الصّفحــة
بلدة قفار	2
بلدة المستجدّة	3
عنيزة	3 - 4 - 9 - 11 - 12 - 13 - 17 - 20 - 21 - 22 - 24 - 28 - 41 - 42 - 44 - 45
القصيم	7 - 11 - 12 - 14 - 33 - 41
الحاضرة	7 - 8
المليدا	7
بريدة	8 - 9 - 11 - 12 - 13 - 41 - 42
حائل	8 - 13
حريملا	8
نجد	10 - 21 - 45
جلاجل	11
البكرية	11 - 13
الشنانة	12
الرّس	12
الشيحية	12
بلدة الزبير	12
مهنا	13
أمّ خمار	28
مكّة	29 - 41 - 42

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحــة
شكر وتقدير وعرفان	ـــــ
الإهداء	ـــــ
المقدّمة	أ ـــــ ح
الفصل الأوّل : التعريف بالشيخ عبد الرّحمن آل سعدي	1 ـــــ 49
المبحث الأوّل : الحياة الشخصية للشيخ	2
المطلب الأوّل : اسم الكامل للشيخ	2
الفرع الأوّل : اسمه ، نسبه ، كنيته	2
الفرع الثاني : مولده ، عائلته ، نشأته	3
المطلب الثاني : الحالة السّياسية والاجتماعية التي عاشها الشيخ	7
الفرع الأوّل : الحالة السّياسية	7
الفرع الثاني : الحالة الاجتماعية	14
المطلب الثالث : مناقب الشيخ وآثاره	16
الفرع الأوّل : مناقبه وأخلاقه	16
الفرع الثاني : آثاره	21
المطلب الرّابع : مرض الشيخ ووفاته	23
الفرع الأوّل : مرضه وعلاجه	23
الفرع الثاني : وفاته ودفنه	24
المبحث الثاني : الحياة العلمية للشيخ	27
المطلب الأوّل : بداية تلقيه للعلم وثناء العلماء عليه	27

الفرع الأوّل : بداية طلبه للعلم	27
الفرع الثاني : ثناء العلماء عليه	29
المطلب الثاني : بداية تدريسه ونظرته العلمية	33
الفرع الأوّل : بداية تدريسه ومصادره العلمية	33
الفرع الثاني : مذهبه ونظرته العلمية	36
المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه	41
الفرع الأوّل : شيوخه ومعلميه	41
الفرع الثاني : تلاميذه	44
المطلب الرّابع : مؤلفاته وتصانيفه	46
الفصل الثاني : دراسة الكتابيْن ونماذج من قواعد الترجيح	50 ـــ 82
المبحث الأوّل : دراسة عامّة للكتابيْن	51
المطلب الأوّل : دراسة تيسير الكريم الرّحمن	51
الفرع الأوّل : اسم الكتاب	51
الفرع الثاني : سبب تأليفه	52
الفرع الثالث : مدّة تأليفه	53
الفرع الرّابع : طبعاته	53
الفرع الخامس : منهج الشيخ في تفسيره	54
الفرع السّادس : مميّزات الشيخ في كتابه والمؤاخذات عليه	59
المطلب الثاني : دراسة قواعد الحسان	61
الفرع الأوّل : اسم الكتاب	61
الفرع الثاني : سبب تأليفه	61
الفرع الثالث : مدّة تأليفه	62

الفرع الرّابع : طبعاته	62
الفرع الخامس : منهج الشيخ في عرض القواعد	62
الفرع السّادس : مميّزات الشيخ في كتابه والمؤاخذات عليه	63
المبحث الثاني : تعريفات عامّة ونماذج من قواعد الترجيح	64
المطلب الأوّل : تعريف قواعد الترجيح	64
الفرع الأوّل : معنى القاعدة	64
الفرع الثاني : معنى الترجيح	66
الفرع الثالث : معنى قواعد الترجيح باعتباره مركب إضافي	67
الفرع الرّابع : معنى النص	68
الفرع الخامس : معنى القرآن	69
المطلب الثاني : نماذج من قواعد الترجيح	70
الفرع الأوّل : العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب	71
الفرع الثاني : إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشّرط أو الاستفهام دلّت على العموم	72
الفرع الثالث : المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع	73
الفرع الرّابع : الألف واللاّم الدّاخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه	74
الفرع الخامس : من قواعد القرآن أنه يستدلّ بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه من الأخلاق والصّفات	76
الفرع السّادس : الآيات القرآنية التي ظاهرها التّضاد يجب حمل كلّ نوع منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام	76
الفرع السّابع : أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة : إيماننا بالإسم وبما دلّ عليه من المعنى وبما تعلق به من الآثار	79

الفرع الثامن : ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلّ على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم	79
الخاتمة	83
ملخص البحث بالعربية	84
ملخص البحث بالفرنسية	85
قائمة المصادر والمراجع	86
الفهارس	93
فهرس الآيات القرآنية	94
فهرس الأحاديث النبوية	97
فهرس الأعلام المترجم لهم	98
فهرس الأماكن المترجم لها	99
فهرس المواضيع	100